همسات من بوح القاف

* الكتاب: همسات من بوح القاف

الكاتبة: ندا إبراهيم طه

* مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدى

* تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدى

* إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدى

* رقم الإيداع: 14438 /2023

* الترقيم الدولي: 978-977-6914-98-8

المدير العام: عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com

واتس آب: 01005186476

صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع







همسات من بوح القاف

نَدَا إِبْرَاهِيمْ طه

الفصل الأول

كلمات ساطعة

بعد يومٍ مليءٍ باللعبِ وفعل الكثير من الأمور الجنونية، انتهىٰ اليوم بقبلة وضمة دافئة من أمه، وقالت له: هيا بنا يا صغيري نذهب حتىٰ أضعك في الفراش؛ لترتاح قليلا.

هز برأسه وأمسك بيديها وذهبا سويا في هدوء، وقال لأمه بنبرة صوت هادئة بعد أن استلقىٰ في الفراش: ماما...

ردت: نعم يا صغيري. فقال: أنت كبيرة صحيح؟

فضحكت أمه وقالت: نعم كما ترىٰ.

فسألها والبراءة تملأ عينيه: متىٰ سأكون مثلك؟

أجابته: مع مرور الوقت يكبر المرء وينضج.

فأجابها متعجبًا: وما هو النضوج؟

قالت له: ربما جميعا نتقدم في العمر، ولكن ليس الجميع ينضج معه تفكيره، فالنضوج يا بني أن يكون المرءُ واعيًا لكل ما يحدث حوله، أن

يتصرف بحكمة، أن يعقل الأمور قبل أن يتفوه بكلمة ولا يستسلم لآراء الآخرين، لكل منا شخصيته وتجاربه وعلمه، وقدرته علىٰ التفكير والتواصل مع الآخرين، يجب أن تنضج كل هذه الأمور مع الشخص أثناء تقدمه في العمر، وليس العمر دليلًا علىٰ أن هذا الشخص ناضج أم لا؛ هناك أطفال صغار عقولهم أكبر من أعمارهم، وهناك كبار عقولهم أدنىٰ من عمرهم، فالتقدم في العمر هو حالة بيولوجية لا أكثر، وإنما دواخلنا نحن من نتحكم بها، ولكن لماذا تريد أن تكبر؟

كنت أريد أن أكبر حتىٰ أسافر إلىٰ أرض الحروف، وأكون أول من يكتشفها، وأكتب عنها الكثير من كتب المغامرات، ولكن بما أنكِ قلت إن أعمارنا ليست مقياسًا؛ فسوف أسافر كل يوم ليلا، وأكتب عن مغامراتي كل يوم.

ضحكت أمه وقالت: لا بد أنها ستكون مغامرة رائعة للغاية.

فأجابها: بكل تأكيد، (القاف) كل يوم تخبرني أن أذهب معها، وأنا أقول لها لا أستطيع لأنني ما زلت صغيرًا، ولكن اليوم قد أصبحت ناضجًا ويمكنني السفر معها.

أدركت الأم أن ابنها «آسر» يمتلك مخيلة خصبة للغاية، ولديه موهبة عظيمة، وتنبأت له بمستقبل مشرق، وطبعت قبلة علىٰ وجهه، وقالت له: تصبح علىٰ خير.

فقال لها: تصبحين علىٰ خير يا أمي، هل يمكن أن تطفئي النور وتغلقي الباب قبل رحيلكِ؟ فأجابته بكل تأكيد.

وما إن خرجت أمه من الغرفة وأغلقت الباب؛ فتح درج الخزانة بجواره ليُخرِج كشاف نور صغير، قد اختاره كهدية في عيد ميلاده السادس، وفتح الكشاف ووجهه نحو الجدار الذي قد رسم عليه حروف اللغة العربية (لغة الضاد) كلها بخط كبير وملون، كانت قد رسمتها أمه حتىٰ تتثبت لديه أشكالها وأسماؤها قبل هذا الوقت عندما كان في عمر أصغر، فأمه لم تكن تعلم أن وضع الحروف العربية علىٰ جدران غرفته سيجعله يرتبط بها ارتباطًا وثيقًا، يبيت ويمسي معها، ويذهب إلىٰ عالمها ليلاً، ويمكث النهار يدون ما تعلمه منها. طفلٌ صغير وخيال خصب، وحروف العربية، والقاف تخرج له من الجدار في كل ليلة عندما يوجه كشاف الضوء نحوها لتطلب منه السفر والترحال إلىٰ أرضها، ليكون سفير العربية في أرضه وحاميها.

بوابة عالم الحروف

وجه آسر ضوء الكشاف إلىٰ حرف (القاف) وخرج (القاف) من تجمده وقفز من الحائط، في محاولة منه لفك عضلات جسده التي تيبست من المكوث طويلا علىٰ الحائط دون حركة، وأطلق آسر ضحكات مدوية مثل كل ليلة يرىٰ فيها (القاف) يقفز من الحائط وهو يصنع حركاته المضحكة، (القاف) بطبعهِ مضحكٌ ولطيف، وحازم أيضا، فيجمع بين القوة واللطف، نظر إلىٰ آسر بنظرات فكاهية للغاية وقال له: مساء الخيرات يا صديقي، لقد تأخرت علينا كثيرا اليوم. قال آسر: كنت أتحدث إلىٰ والدتي في شأن الذهاب معك إلىٰ أرض الحروف في كل ليلة، وإليك المفاجأة.. لقد وافقت. قفز (القاف) فوق السرير من فرط حماسته وقال له حقا ستذهب معي أخيرا وتحررني من هذا الحائط؟! قال نعم، سوف أذهب معك هيا بنا.

فتح (القاف) بوابة ليمروا منها إلىٰ عالم الحروف سويا، شعر آسر بالخوف من الاقتراب من هذه البوابة، لأنها كانت تشبه الدوامة التي تبتلع كل شيء، وبدأ أثاث الغرفة في التطاير إلىٰ داخل البوابة، فأمسك (القاف) وآسر في السرير وهم يطلقون صرخات مرتفعة إلىٰ أن ابتلعتهما البوابة،

وبدآ في السقوط من السماء وصرخاتهما لا تتوقف أبدا، نظرا أسفل منهما ليجدا مسطحًا مائيًا هائلًا للغاية، وهما علىٰ وشك الاصطدام به، وحانت لحظة الاصطدام وغمرتهما المياه، وكل منهما في ناحية يحاول النجاة بحياته والصعود للسطح لالتقاط الأنفاس، آسر يسبح نحو السطح بسرعة، و(القاف) كذلك، وأخيرا التقط آسر أنفاسه، ومسح وجهه من الماء ونظر حوله بحثا عن (القاف) فلم يجده، وغاص من جديد للبحث عنه ولم يجده، صعد مجددا ليلتقط أنفاسه فوجد (القاف) فوق سطح الماء، ونادىٰ عليه بصوتٍ مرتفعٍ للغاية فالتفت له، وبدآ بالسباحة تجاه بعضهما البعض بسرعة، وسأله آسر أين نحن الآن؟ هل هذا عالم الحروف؟ أم أننا ذهبنا الىٰ المحيط، قال (القاف): هذا محيط عالمنا.

كان السؤال الذي يشغل آسر، وقد طرحه علىٰ (القاف)؛ كيف يمكنهما الخروج من هذا المحيط ولا وجود لليابسة من جميع الجهات؟ قال له (القاف) لا عليك؛ فقط تمسك بي جيدا.

تمسك آسر به بقوة وانطلق بسرعة جبارة وكأنه صاروخ يسير في الماء، إلىٰ أن وصلا الىٰ اليابسة في لحظات معدودة، وفور وصولهما للشاطئ قال آسر: يا لها من سرعة! أنت رائع أيها (القاف) كيف استطعت

السباحة بهذه السرعة؟ قال (القاف): حان الوقت لتتعلم معلومة جديدة عني. قال آسر: وما هي يا صديقي؟ رد القاف: أنا وكل حروف القاف من نفس جنسي نمتلك قوة خفية لا تظهر إلا في وقت الأزمات. قال آسر: يا لها من معلومة رائعة! من الجيد أنك تتمتع بهذه القوة، وإلا مكثنا في الماء لآلاف السنوات وما كنا لنصل أبدا.

ضحكوا كثيرا علىٰ هذا القول اللطيف، التفت آسر حوله ليجد مجموعة كبيرة من الحروف جميعها من جنس (الصاد) ويمارسون مهنة صيد الأسماك، ويستخدمون أدوات في الصيد مختلفة تماما عن التي يستخدمها البشر في عالمهم، فكل صياد يمتلك أقفاصًا علىٰ شكل أنصاف دوائر مغلقة من جميع الجهات يوضع بداخلها طعام الأسماك، وتنفتح تحت الماء، وما إن تدخل الأسماك لتناول الطعام تنغلق الأقفاص عليهم بسرعة، والقفص الواحد يتسع لعشرين سمكة علىٰ الأقل، فوقف آسر منبهرًا بتقدم الحروف حتىٰ في أبسط المهن، فسأل آسر القاف قائلاً: كيف استطعتم التقدم إلىٰ هذا الحد؟

قال القاف: خلقنا الله أزواجا، كل منا يكمل الآخر، فنحن ستة عشر زوجا، ولكل زوج مهنته التي يمتهنها، ويتميز بها، ويعمل علىٰ تطويرها،

ولا يتدخل أحد منا في عمل الآخر، وأصبح هناك تنافس كبير بين كل زوج وآخر حتىٰ تميز الكل في مهنته. فقال آسر نحن علىٰ الأرض زوج واحد فقط؛ ذكر وأنثي، ويمكن لأي منهم أن يمتهن المهنة التي يريدها.

قال القاف: هؤلاء حروف (الصاد) -كما ترىٰ- يعملون علىٰ صيد الأسماك لتأمين الغذاء لبقية الحروف، هذه مهمتهم بالحياة تأمين المطلب الأساسي للحياة، قال له آسر متعجبا، وهل تتناولون الغذاء مثلنا؟ أجابه (القاف): بالطبع نحن نفعل كل شيء مثلكم تماما، نعمل، ونتعلم، ونبني الحضارات، ونتقدم. كل شيء هنا مثلكم تماما، بل حضارتكم وتقدمكم يتوقف علينا، فنحن الذين نعينكم علىٰ التقدم.

لم يفهم آسر المقصد من قوله، وتساءل كيف هذا؟ وعندما رأىٰ (القاف) آسر متعجبا، قال له: سوف نمضي في طريقنا ومع مرور الوقت ستفهم كل شيء، ولكن هناك شيء يجب أن تعلمه. فسأله آسر: وما هو يا ترىٰ؟ فرد القاف: يا صديقي يولد الحرف وقد حدد له مصيره وطريقه، ولا يُخيّرَ في أي بلدٍ يعيش، أو في أي مهمة يعمل، ليس مخيرًا في أي شيء، وإنما جنسه يحدد مصيره، وأنتم البشر مخيرون في كل شيء.

هز آسر برأسه وطلب من القاف أن يمضوا في طريقهم، ورأسه مزدحم بالكثير من الأفكار والتساؤلات، وما إن مضوا في طريق سيرهم حتىٰ وجدوا أشجارًا عجيبة الشكل ممتدة علىٰ طول ساحل المحيط، كان هيكلها مجموعة من اللامات المنقلبة مثل عصا الحلوىٰ، وفي كل جزع شجرة ثقب كبير مستدير يسيل منه سائل بنفسجي اللون، وكأن الشجرة تنزف الدماء، وفوق كل شجرة الكثير من حروف الشين المتداخلة مع بعضها البعض، وكانت نقاط الشين فيها ثمار بنفسجية اللون، لامعة، شكلها محبب للأكل، وكان لدىٰ آسر فضول أن يتذوق منها، ويتعرف علىٰ اسمها، فسأل (القاف) عنها...

فأجابه: هذه الأشجار الممتدة علىٰ طول الساحل هي نوع الأشجار الوحيد في أرضنا، ومنتشرة في كل بلاد عالمنا، وهي مصدر الغذاء الثاني، بالأساس لا نتغذىٰ سوىٰ علىٰ الأسماك وهذه الفاكهة وهذا السائل، الذي نطلق عليه سائل الدواء، لأن هذه الشجرة هي دواء كل داء يصيب أرضنا؛ فنحن دائما في وقاية من أي داء، وكل الفضل يرجع لشجرة الدواء، وليس هذا فقط، هي تعمل علىٰ تنقية الهواء والقضاء علىٰ أي شوائب قد تسبب وباء، لذلك هي تقينا وتقي الجو أيضا.

قطف القاف ثمرة وأعطاها لآسر، وقال له هيا اقضمها، قضم آسر قضمة، وقد امتلأ وجهه بسائل بنفسجي خرج من الثمرة، وأخبره آسر أنها ألذ فاكهة قد تذوقها في حياته كلها، ومد يده داخل الشجرة وغمسها داخل سائل الدواء وتناول منه، وقد كان هذا السائل أكثر حلاوة من الثمرة علىٰ الرغم من تقارب مذاقهما، وقال آسر لصديقه (القاف) وهو يمازجه: الشجر عندكم يخرج الثمار والعصير في آن واحد.

وأثناء ارتفاع صوت ضحكاتهما، كانت المفاجأة أن دخلت عليهم حشرة عملاقة تمر من بين الأشجار، وما إن رآها آسر حتىٰ هرع هربًا من شكلها وضخامتها، فوجهها حرف نون، عملاقة لها عين واحدة تقع مكان النقطة، وجسدها ميم ممتدة، وأرجلها أربع لامات، اثنان علىٰ التوازي في آخر طرف النون، واثنان متوازيان أسفل رأسها وعند دائرة الميم، وتمتد من وجهها مجسات تعمل بها علىٰ قطف الثمار من الأشجار، ووضعها داخل صناديق بشكل منظم للغاية.

طمأن (القاف) صديقة آسر وقال له لا داعي للذعر، هذه الحشرة تسمىٰ بحشرة (اللم) ووظيفتها قطف الثمار باستمرار لينمو غيرها، وتعيش أكثر

من ألف عام، وهي تؤدي وظيفتها، فهي من الدواب التي قد سخرت لنا لتعيننا علىٰ العمل.

وأثناء حديث (القاف) مع آسر، لاحظ آسر أنه عندما تنتهي الحشرة من ملء صندوق؛ يأتي حرف من حروف الغين الواحد يلي الآخر، ويخرج من بطنه خيوطا غريبة اللون تميل إلىٰ الاخضرار قليلا، وتبدأ بلف الصناديق بها حتىٰ يختفي الصندوق تماما خلف هذه الخيوط، ثم تأتي حروف الحاء تحمل الصناديق، وتدخل بها عبر فتحة داخل الأرض، ويقف حرف عين واحد بيده ورقة وقلم، وكأنه يشرف علىٰ عمليات التغليف والتخزين، وأخبر (القاف) آسر أن حروف (الغين) قد وهبت القدرة علىٰ المحافظة علىٰ الطعام لسنوات عديدة دون أن تفسد، بفضل هذه الخيوط الحافظة التي تستخدمها في تغطية الفاكهة، و(الحاء) قد وُهِبَ القدرة علىٰ التحمل، والإحاطة بالأشياء وحراستها، لذلك وُكِّلَ بهذه المهنة الصعبة، حيث يحمل الفاكهة بعد تغليفها، وينزل بها إلىٰ عمق داخل الأرض يسمىٰ بالغرف الحافظة، ويضع الفواكه هناك ويحرسها ليلاً، أما حرف العين فهو أكثر الحروف امتهانا لمهمات مختلفة، ودائما توكل له المهن العلمية، من إشرافٍ ورئاسة لموهبته المتفردة للغاية،

حيث لديه القدرة علىٰ تعلم كل شيء بسرعةٍ شديدة، ولديه قدرة علىٰ تعليم الغير وقيادة المجموعة، لذلك توكل له وظائف القيادة.

وأثناء حديث القاف، بدأ هطول المطر علىٰ هيئة كتل ثلجية دائرية يكاد وزن الكتلة الواحدة أن يصل إلىٰ كيلو جرام، بدأ الجميع بالاختباء حتىٰ لا يصاب أحد بأذىٰ، وظهر الكثير من حروف الكاف وقد انتشروا في كل مكان، يعملون علىٰ التقاط، هذه الكتل الثلجية قبل ملامستها للأرض، وجمعها في أوعية كبيرة للغاية، وظلت هذه الأمطار لدقائق معدودة، وما إن انتهت حتىٰ أخذت الكاف الأوعية التي امتلأت بالكرات البيضاء ورحلت مبتعدة، وفي هذا الوقت قد زاد تعجب آسر أكثر وأكثر مما يحدث، وكأن قدرته علىٰ الاستيعاب قد توقفت، ونظر للقاف وقال له: أنا بالفعل هذه المرة لا أفهم ما يحدث الآن.

فضحك القاف كثيرا وقال له: لا عليك؛ سأخبرك... حروف الكاف في أرضنا كل مهمتها التقاط هذه الكرات الثلجية في جميع البلاد، واحتواؤها وتحويلها إلىٰ مياه سائلة، وإرجاعها إلىٰ المحيط

لكن آسر لم يفهم المغزىٰ وراء هذا الأمر، لِمَ لمْ يتركوها تسقط علىٰ الأرض؟ ووقتها سترتوي منها الأشجار؟! قال القاف: الأشجار جذورها

ممتدة لعمق كبير للغاية، وهي بهذا الشكل تروي نفسها بنفسها، وهذه الكرات الثلجية تأتي من خارج غلاف (النون) ويتم تحليتها داخل الغلاف وتتحول لكرات ثلجية داخل الغلاف وتنزل علىٰ هذا النحو، ونحن نعيدها للمحيط من جديد لنحافظ علىٰ توازن سمائنا، فيعود مقدار المياه الذي جاء من الخارج للخارج مرة أخرىٰ ولا يعلق علىٰ اليابسة.

لكن آسر لم يفهم شيئًا علىٰ الإطلاق مما قال القاف، وطلب منه أن يشرح بتفصيل أكثر حتىٰ يفهم ما يقال، فأين المشكلة إن سقط الماء علىٰ اليابسة؟

قال القاف: نحن الحروف أرضنا حرف (باء)، وسمانا حرف (نون) مقلوب يغطي الباء من الأعلىٰ، والباء والنون يشتركان في نفس النقطة، فنقطة الباء تلتقي مع نقطة النون، ويتحدان ليكونوا نقطة واحدة، الباء هي اليابسة التي نقف عليها الآن، وتمتد مساحتها فوق المحيط، ويوجد داخل اليابسة مجموعة من البحار والأنهار، والنون هي السماء التي نحتمي بها.

فسأله آسر: تحتمون بها من أي شيء؟ من فراغ؟

تعجب القاف، وقال له: عن أي فراغ تتحدث؟ إن سماءنا تحت سطح الماء، والماء يحيط بعالمنا من جميع الجهات، ولولا غلاف (النون) هذا لغرقنا جميعا وانتهت الحياة بكل تأكيد؛ فالسماء هي البقعة الخالية من الماء، ألم تلحظ أن كلمة سماء تتكون من كلمة ماء إضافة للسين؟

قال آسر: نعم... لقد التفت للأمر الآن، ولكن هل هذا يدل علىٰ شيء؟

قال القاف: إن السين في عالمنا تعبر عن مساحة محددة للتحرك بحرية، ولكن خارج هذه المساحة تكون محرمة الحركة فيها، وربما يصعب الأمر، فعندما جمعت السين والماء أخبرتنا حروفها أنه متاح لنا الحركة داخل بقعة فارغة من الماء ويصعب الخروج منها بسبب الماء الذي يحيط بها من جميع الجهات.

قال آسر: هذا الأمر عجيب فعلا.

قال له القاف: وكل المياه التي في أرضنا من بحار وأنهار ومحيطات ما هي إلا ماء أنزل من السماء بقدر، وأسكن في الأرض، وكان من الممكن أن تختفي المياه وتزول وتعود إلىٰ مصدرها الرئيس، ولكن حركة الباء حول نفسها هي التي تحفظ لنا الماء، وهذا سبب تكون حركة الأمواج في

المحيطات والبحار، وسبب جريان الماء في الأنهار، إن دراسة حركة الأمواج بالنسبة إلىٰ نقطة المنتصف ستجدها منتظمة تماما معها، حركة الجريان تلك تدفع الأمواج إلىٰ اليابسة بشكل مستمر، وتمنعه من أن يتصرف من بالوعات المحيطات؛ فالموج بالأساس استرسال لحركة الماء من المنتصف حتىٰ أطراف الباء، وهذا الدوران يعمل علىٰ شد وجزر للماء بصفة مستمرة.

قال له آسر: هذا عجيب! كنت أظن أن من يصنع الأمواج هي الرياح، فقال له القاف: وإن كانت يا صديقي الرياح هي التي تصنع الأمواج؛ فكيف يكون تحت الأمواج أمواج أخرىٰ، وليس السطح فقط هو الذي به أمواج؟ أأخبرك بما هو أعجب يا صديقي؟ قال له آسر: ما هو يا ترىٰ؟ أجابه القاف: بناء السماوات بدون عمد علىٰ الرغم من ضغط الماء الهائل الذي يتعرض له غلاف النون، ومع ذلك تظل سماؤنا سقفًا محفوظًا من دخول الماء، فخالقنا رؤوفٌ رحيمٌ بنا؛ فأرضنا مدحوّة وليست كروية مثل أرضكم.

فقال له آسر: وما الفرق؟ أنا أعلم أن الكروية هي المدحوّة أيضا.

قال له: يا صديقي هذا ليس حقيقيًا، الدحو هو اجتماع التسطح والتكور، فأرضنا حقيقتها أنها مسطحة، ولكن بمجرد خروجنا لخارج الغلاف ستجد أنها كروية، والحقيقة أن أرضنا مسطحة ويمتد ظلها علىٰ سطح بلورة النون فتظهر أنها مكورة، فغلاف النون ما هو إلا بلورة ثلجية تمتد من القطب الجنوبي للشمالي، ومن القطب الغربي للقطب الشرقي؛ فتنعكس صورة أرضنا علىٰ سطح البلورة، ولكن الحقيقة المطلقة أن سماءنا تصنف نصف كروية، لذلك هي بدون عمد لأن ليس لها زاوية بحاجة للحمل، وإنما تشبه نصف الكرة المتماسكة، وفي عالمنا بناء مثل هذ البناء شيء معقد في غاية التعقيد، ولكن بمجرد النجاح في بنائه يكون أمتن وأقوىٰ المباني علىٰ الإطلاق، والأعجب من هذا أيضا؛ إن سطح البلورة ما هو إلا سطح ثلجي مكون من سبع طبقات، وفي الجوانب أقطاب الأرض يزداد قطر الغلاف وينعكس منه الضوء؛ فتظهر أنوار رائعة تلقب بالشفق القطبي، وهذه الظاهرة تشبه انعكاس الضوء من منشور زجاجي؛ فيظهر من انعكاسها ألوان الطيف، فبلورة الثلج وطبقاتها تتفق مع خواص المنشور الزجاجي لذلك عندما يمر منها الضوء تظهر الألوان الرائعة؛ الأحمر والأخضر والأزرق، والمزيج الذي يحدث من

هذه الألوان، ولكن الألوان الأساسية له هي هذه الثلاث التي ذكرتها لك، وبلورة النون أيضًا مسؤولة عن ظهور ألوان الطيف.

كان آسر يتحمس كثيرًا لمعرفة المزيد مع كل معلومة جديدة يطلع عليها، فيا لها من معلومات رائعة عن أرض الحروف، وسأله آسر وهو متحمس للغاية لمعرفة المزيد من هذه الأمور العجيبة، ولكن كان جواب القاف: سوف آخذك لبيت الطواف، وهناك سوف أطلعك علىٰ أعجب عجائب أرضنا.

لكن آسر لم يستوعب، وتساءل: ما هو بيت الطواف؟

فقال القاف له: بيت الطواف هذا بيت يقع في منتصف الباء تماما، وهناك سوف تفهم كل شيء؛ فكل ما تريد معرفته سوف تجده هناك.

فوافقه آسر علىٰ أن يصبر علىٰ جواب تساؤلاته، ومضوا في طريقهم لنقطة الوسط، وأثناء السير قال له القاف: هذا البيت تذهب إليه الحروف من جميع أنحاء أرضنا للطواف مع حركة طواف الباء، كما أخبرتك منذ قليل عن حركة الأرض حول نفسها، هناك سوف تفهم الكيفية بالضبط.

كانت علامات الاندهاش واضحة تماما علىٰ وجه آسر من تلك المعلومات الرائعة؛ حيث إن عالم الحروف يختلف تماما عن عالم البشر، نظر آسر فوجد السحاب يجري من فوقه، فقال للقاف: هل يمكن أن تفسر لي ظاهرة سير السحاب؟

فقال له: إن الحروف في بداية الأمر كانوا يظنون أن السحب هي التي تسير، ولكن مع الوقت فهموا أن اليابسة هي التي تطوف بهم؛ فالأرض والجبال هي التي تتحرك بهم وليست السماء، وعندما ننظر للسحاب نظن أنها هي التي تسير لأننا نتحرك ونطوف مع الأرض.

وما كان من آسر إلا أن زاد اندهاشه أكثر وأكثر من هذه المعلومات التي لم يسمع عنها أبدًا في حياته كلها. وأكثر شيء جعل آسر في حالة من الانبهار الطريقة التي تستخدمها الحروف في استخدام الطاقة، حيث إن لديهم حشرة عملاقة يطلقون عليها اسم حشرة الشمس، هذه الحشرة رأسها هاء، وجسدها صاد، وأرجلها تمتد من الصاد، وهي عبارة عن أربعة لامات ممتدة من جسم الصاد، وظيفتها التعرض للشمس لوقت كبير وتخزين الطاقة الضوئية بداخلها وتحويلها إلىٰ كهرباء، وكل منزل من منازل الحروف يمتلك حشرة تغذيه بالكهرباء، حيث إن كل من يريد

أن يبني منزلًا يذهب لشراء حشرة الشمس لتمد منزله بالطاقة، وطوال سيرهم بالطريق يجد هذه الحشرة منتشرة بجوار أعمدة الإنارة، وبجوار كل منزل، وهناك مكان مخصص لشحن السيارات، وهذا المكان عبارة عن ساحة كبيرة معرضة للشمس، وبها صفوف كثيرة من حشرة الشمس، وأمام كل حشرة هناك مكان فارغ يكفي لثلاث سيارات، فهذه الحشرة يمكنها أن تمد بالطاقة ثلاث سيارات في آن واحد، وكلما نفد شحن إحدىٰ السيارات؛ يذهب صاحبها إلىٰ مركز الطاقة ليملأها.

الوصول إلى بقعة الطواف

عندما اقترب آسر والقاف من بقعة الطواف، وجد آسر حراسًا يقفون حولها؛ ساحة كبيرة جدا في منتصفها يوجد بيت أبيض اللون، وحوله جميع أجناس الحروف تطوف حوله في تضرع وخشوع، هؤلاء الحراس مجموعة من حروف السين، فسأل آسر القاف عن الأمر قائلا: أنا لا أفهم يا صديقي لم تقف السينات بهذا الشكل بجوار بعضها البعض وكأنهم أسنان مشط، ألم تقل لي أن هذا المكان مخصص لطواف الحروف، تأتي له من جميع أنحاء البلاد في أرضكم؟ وهي بالنسبة لكم أرض السلم والأمان؟ فلم كل هذه الحراسة المشددة؟

قال له القاف: هؤلاء وهبوا أنفسهم لخدمة زائري البقعة المحرمة، ويعملون على توفير كل شيء للمعتمرين، ولا يتركون هذا المكان أبدا منذ ولادتهم حتى الممات.

فسأله آسر لم قد يضحي حرف بحياته كلها في سبيل خدمة الحروف الأخرى؟

فقال له: يا صديقي... يخدمون الحروف حبا في خالق الحروف، هذا هو أساس الأمر، وثانيا -كما أخبرتك- في أرضنا لا يختار أحد ماذا يفعل، وإنما كلٌ ميسر لما خلق له، وليس مخيرًا في أمرِهِ، ومع ذلك كل حرف في عالمنا لا يستاء من وظيفته، وإنما يحبها ويفعلها حبا في خالقه الذي خلقه لما هو عليه، وإتمامًا للخلافة التي أوكلت له من الخالق.

قال آسر: فعلا يا صديقي، معك حق، لابد أن نتعلم منكم الكثير، الآن فهمت لماذا علمنا يتوقف عليكم.

قال القاف وهو ينظر لبيت الطواف واللمعة في عينيه: هل أخبرك بسر لا يعلمه أحد في عالم الحروف كله غيري فقط؟

التفت له آسر سريعا بعد أن كان بيت الطواف يخطف أنظاره، وقال له: وما هو يا ترىٰ؟

رد عليه قائلا: هناك باب سري يا صديقي أسفل بيت الطواف لا يعلم الطريق إليه غيري.

فقال له آسر: وماذا يوجد خلف هذا الباب يا صديقي.

قال له القاف: ما رأيك أن تأتي معي وترىٰ بعينك؟

فأجاب آسر بنبرة يملؤها الحماس: بالطبع هيا بنا نذهب حالا، ولكن هل فعلا لا يوجد أحد غيرك يعلم بما يوجد خلف هذا الباب؟ أم هناك أحد غيرك يعلم بالأمر وهو من أخبرك عنه؟

قال القاف: جدي القاف الأكبر هو من أخبرني بقصة هذا الباب السري، لأن فصيلة القاف وحدها هي التي تستطيع أن تخترق أي مكان، وتستطيع أن تصل إلىٰ أقصىٰ مكان بالكون، وهذا الأمر قد خصت به عائلتنا دون غيرها من العائلات.

قال آسر له: يا لها من هبة وميزة قد ميزكم الخالق بها.

فأجابه القاف: أنا بالفعل فخور جدا يا صديقي بهذا الأمر، فأنا الوحيد الذي يمكنني أن اخترق أي جدار أو أي جسم في عالم الحروف كلها، كوني آخر قاف في هذه الأرض؛ فقد انتهت فصيلتي من أرض الحروف ولم يتبقَ غيري، وقد دخلت خلف هذا الباب مئات المرات.

قال آسر: هل يمكن أن أذهب معك إلىٰ هناك وأرىٰ ماذا يوجد خلف هذا الباب.

قال القاف: سوف أجعلك تأتي معي، ولكن عليك أن تعدني أنك لن تحكي لأي أحد أيا ما كان ما يوجد داخل هذا الباب، قال آسر: هذا وعد.

التف القاف حول آسر، واختفىٰ عن الأنظار، ودخل إلىٰ بيت الطواف دون أن يراه أحد، واخترق الباب ثم أخرج آسر، وقال له هيا بنا، وبدآ بنزول درج طويل للغاية، إلىٰ أن وصلا إلىٰ مكان مليء بالماء، وهذا الماء تغطيه طبقة شفافة وكأنها زجاج، ولكن أخبره القاف أنها طبقة من بلورة ثلجية، وفوق هذه البلورة يوجد جسم كبير للغاية مربع الشكل، يقف علىٰ أحد زواياه، وزاويته الأخرىٰ للأعلىٰ، ويستند عليها سقف، يشعرك أنه ليس له أول ولا آخر من ضخامته، وكذلك طبقة البلورة تمتد

مع السقف حتىٰ النهاية، وهذا السطح يلتف حول نفسه مستندا علىٰ زاوية الجسم المكعب ببطء شديد.

سأل آسر القاف: ما هذا؟

قال القاف: هي نقطة الباء التي تحمل أرضنا وتجعله يدور حول نفسه، فهذا السقف الذي يلتف حول نفسه هو الباء وهو الذي ينتج حركة الأمواج كما أخبرتك، وأيضا حتىٰ تصل أشعة الشمس إلىٰ كل بقعة من أرضنا.

سار آسر والقاف علىٰ البلورة الثلجية التي تسير من تحتها المياه، وكانت السعادة تغمره كونه يرىٰ أمورًا لم يرها من قبل، وقد سارا مسافة طويلة للغاية نحو الغرب إلىٰ أن لفت نظر آسر في هذا السطح البلوري فتحة أنبوبية تمتد لأسفل، وسأل القاف عن هذه الفتحة، فأجابه أن هذا الأنبوب اللام، وتعجب آسر وسأل عن سبب تسمية الأنبوب بهذا الاسم، فأخبره القاف أن شكله مثل حرف اللام تماما، وهو يمتد لأسفل، ثم يمتد لأعلىٰ حتىٰ السطح.

فتساءل آسر: السطح!، عن أي سطح تتحدث؟

قال القاف: ألم أخبرك أن أرضنا تغمرها المياه من جميع الجهات، فحتما ولا بد أن يكون هناك سطح لهذا الماء الذي يحيط بنا، أليس كذلك؟

قال آسر: صحيح. ثم قال: أنا فعلا لم أسمع في حياتي عن أمور مثل هذه الأمور العجيبة.

كانت ملامح التعجب تطغىٰ علىٰ تعبيرات وجهه أكثر وأكثر كلما أخبره القاف بأمور جديدة، حيث أخبره القاف أيضا أن هذا الأنبوب هو سبيل الصلة بين السموات السبع بعضها البعض، وليس هذا فقط بل كذلك يصل السماوات السبع بالكرسي، والسموات السبع مجتمعة يطلق عليها اسم العرش.

فقال آسر: ولماذا يا ترىٰ يطلق عليها هذا الاسم؟

فقال له القاف: لأن العرش هو استرسال الحركة في الكون، والاسترسال يبدأ من طرف اللام امتدادا للسماء السابعة.

قال آسر: فعلا معلومة رائعة للغاية عن كونكم.

واقترح آسر علىٰ القاف أن يمضيا في طريقهما داخل هذا الأنبوب، ولكن القاف اعترض كثيرًا علىٰ هذه الفكرة، وأخبره إن سيرنا فقط علىٰ الخط

الأفقي للام سيستغرق سير مساحة السبع سماوات كلها عرضا مجتمعة، فما بالك بالصعود؟ وأكد له أن الأمر مستحيل، ولكن آسر لم يفهم لم مسيرة مساحة السبع سماوات مجتمعة؟!، وسأل القاف عن الأمر.

وضح القاف له الأمر قائلًا: إن السماوات السبع تشبه السلم في تدرجها ومساحة كل سماء تبدأ من النقطة التي انتهت عندها السماء السابقة لها، فهي فوق بعضها البعض موضوعة بشكل تدريجي مثل الدرج، وذلك الشكل التدريجي سببه أن السماوات حجمها يكبر كلما صعدنا لأعلىٰ، وحتىٰ تصل أشعة الشمس لجميع السموات فقد وضعت بهذا الشكل، وحتىٰ لا تحجب سماء عن الأخرىٰ أشعة الشمس والدفء، وبما أنهم في السماء السابعة أبعدهم وأصغرهم، وتبدأ به اللام إذ ستكون المسيرة بداخله تساوي مسيرة مساحة السماوات السبع مجتمعات.

قال آسر متعجبًا من جمال اللغة العربية قائلًا: لم أرَ يومًا في حياتي كلها لغة توضع بهذا التناسق التام، حتىٰ في رسمها هناك سبب لذلك، ومعنىٰ الوصل الذي يحمله حرف اللام متمثلًا في وظيفته، وغلاف النون وسطح الباء وأنبوب اللام مجتمعون يرسمون صاد توضح أصل كل سماء،

والأصل أيضا متمثل في معنىٰ حرف الصاد داخل اللغة العربية. أليس الأمر في منتهىٰ الإعجاز.

فأجابه القاف: لقد سخر الله عالمنا لخدمتكم، ولتفهموا أهمية الحرف الواحد من القرآن إنه ليس مجرد حرف، وإنما كل حرف في حد ذاته يحمل بداخله جزءًا من قصة الوجود حتىٰ تتعلموا في حياتكم من خالقكم، فلكل حرف في اللغة قوانين مجموعة من شتىٰ مجالات حياتكم، وليس لكل حرف قانون واحد فقط؛ فالصاد تجمع بداخلها معاني الأصل والوصل، والحراسة، والكينونة، والسطوع، والاضطراب، وكل هذا لما تجمعه في شكلها وجوهرها من معاني الحروف التي اجتمعت منها.

ما كان من آسر إلا أن قال له: حتىٰ عندما حدثتني عن الباء وهي أرض السماوات وفي معناها يتمثل الحماية والحفظ، والنون وهي غطاء سمائكم، وتعبر في لغتنا عن السطوع، والكينونة، والاضطراب، وبالفعل الغلاف السماء تقع الأحرف بداخله، ويجعل سماءكم أكثر سطوعا داخل ماء الكون، وبداخله تحدث الكثير من الاضطرابات، كيف لا أقف

إجلالًا للحروف والكلمات وهي تبني العالم بدقة، وهي السبيل للتواصل بين مجتمعاتنا، والسبيل لتقدمنا.

بكىٰ الطفل صاحب السبع سنوات إجلالا وتقديرا، فقال القاف في نفسه: «أيتوقع أحد أن طفلًا في مثل سنه يستشعر هذه التفاصيل، وعالمهم مليء بالكبار الذين لم يلحظوا الأمر من قبل»

مسح الطفل الصغير دموعه وقال للقاف: هيا بنا، فسأله القاف إلىٰ أين يا صديقي؟ قال: لأتعلم المزيد، لأرىٰ عظمة الخالق في مخلوقاته، لألتمس نورًا.

وانطلقا في رحلتهم إلىٰ المركبة الجوية.

الفصل الثاني

بلورة النون والسماء السادسة

ذهبا معا إلىٰ قاعدة المركبات الجوية، كانت المركبة تشبه الألف، ولكنها مفرغة من الداخل، فصعدا معا إلىٰ مركبة الألف وطلب القاف من آسر أن يرتدي زيًّا عجيبًا شفافًا لا لون له، مغلق من الرأس حتىٰ القدم، مصنوع من مادة فولاذية شفافة تتحمل ضغط الماء الهائل، ويسمح له هذا الزي باستخلاص الأكسجين من الماء مثلما تفعل السمكة تماما بخياشيمها، ولن يكون مضطرًا لحمل أنبوبة أكسجين من المؤكد أنها سوف تنفد في طريقهم، وانطلق آسر والقاف إلىٰ الغلاف الجوي بسرعة تساوي سرعة الضوء، فلم يأخذا وقتًا علىٰ الإطلاق؛ حتىٰ وصلا للغلاف الجوي، ووقفت المركبة عند نقطة في الغلاف وتعلقت هناك، وفتح القاف بابًا هناك ودخلا منه سويًا، وما إن دخل آسر إلىٰ هناك حتىٰ بدأ ينتفض بسبب انخفاض درجات الحرارة، وكأنه داخل ثلجة مخصصة للتجميد، وسأل القاف: لم الجو بارد إلىٰ هذا الحد؟

قال له: إن غلاف النون خلق من سبع غرف متتالية مصنوعة من بلورات الثلج.

واندهش آسر من الأمر وكأن لديه فضولًا لمعرفة سبب صنع الغلاف من بلورات الثلج، فأخبره القاف أن ضغط الماء في الأعلىٰ قوي للغاية، ولا شيء يتحمل ضغط الماء ألا ماء مثله، وكان بين كل غرفة وغرفة خطوط منحنية وكأنها متاهات بين كل غرفة وأخرىٰ، وكانا إذا أرادا الانتقال إلىٰ الغرفة الأعلىٰ وجب عليهما أن يسيرا في متاهات حتىٰ يصلا إلىٰ الغرفة التي تليها، حتىٰ وصلا للباب الأخير الذي سيخرجهم للماء الذي يحيط بسمائهم في جميع الاتجاهات، وأخبر القاف آسرًا أن يثبت ويتأهب تأهبًا كاملًا لدخول الماء عندما ينفتح الباب الأخير، وفعلا وقف آسر بثبات، ووراءه أحد حوائط المتاهات حتىٰ لا يرجع مع الماء، وفتح الباب، وبدأ الماء بالتدفق للداخل بقوة شديدة للغاية، وأخذت أنفاس آسر تتسارع، وشعر بخوف من هذه الخطوة، ولكن عنما امتلأت الغرفة السابعة بالماء وهدأ كل شيء اطمأن وأمسك بالقاف، وخرج معه في هدوء وأقفل القاف الباب بإحكام، وتساءل آسر ما الذي سوف يحل بالماء الذي دخل إلىٰ الغرفة السابعة من طبقات غلاف النون؟ ولكن القاف أخبره ألا يقلق أبدًا من الأمر، لأن هذا الماء سوف تفتح له غرفة بعد غرفة بشكل أوتوماتيكي حتىٰ يصل إلىٰ الغرفة الأولىٰ وسيتحول الماء لكرات ثلجية، ووقتها سوف ينزل علىٰ هيئة أمطار في مناطق مختلفة، وسوف تتحكم بهذه

الأمطار هذه المتاهات بالأسفل، وسوف تتدحرج الكرات بداخلها وصولا للمنطقة التي سوف تسقط بها.

قال آسر للقاف: أنا حقا لا أفهم، كيف لا يمكن لأشعة الشمس أن تذيب هذا الغلاف، وكيف الجو بالأسفل دافئ علىٰ الرغم من أن غلافها ثلجي؟ حقا لا أفهم.

قال القاف: في أقطاب أرضنا في لحظة تلاقي النون والباء هناك غرف تتحكم في درجات الحرارة، تعمل علىٰ تثبيت درجة حرارة غلاف النون بشكل مستمر دون توقف، ولا تستطيع الشمس التأثير فيه وإذابته، والغلاف البلوري عندما تمر منه الشمس يعمل علىٰ زيادة تركيز شعاعها فتزداد الحرارة بعد بلوغ الغلاف، مثلما تفعل العدسة المكبرة مع أشعة الشمس، حيث يكون ليديه القدرة علىٰ تركيز الأشعة وحرق أي شيء مواجه لها.

وما كان من آسر إلا أن أضاف سؤالًا آخر، حيث سأل القاف عن سبب صنع هذه المتاهات، فأخبره القاف أنها تعمل علىٰ زيادة قوة الغلاف وتحمله، وتعمل أيضا علىٰ توزيع الأمطار؛ ولهذا السبب فالسماء

مصنوعة بغير عمد، وهذا الأسلوب في البناء معقد للغاية وفي نفس الوقت أكثر متانة، وما يزيد متانته هذه المتاهات، حيث تجعله أطول عمرا.

تعجب آسر من هذه المعلومات التي يتعلمها كلما سار في طريقه مع القاف، وأخذا في السباحة مبتعدين عن غلاف النون بشكل رأسي متجهين لليسار قليلا أثناء صعودهما، حتىٰ ابتعدا عن السماء الأولىٰ بمسافة كبيرة، وأخبر القاف آسرًا أن ينظر إلىٰ السماء من بعيد، فنظر آسر، وكانت المفاجأة بالنسبة له أنه رأىٰ كرة لامعة زرقاء تكسوها بعض البقع بنية اللون، ولم يصدق أبدا أن هذه هي السماء التي خرج منها للتو! كيف وقد كانت مسطحة ولم تكن كروية، ثم تذكر عندما أخبره القاف أن أرضهم مدحوّة، حيث يمتد ظل أرضهم علىٰ سطح بلورة النون الثلجية وتظهر بالنهاية أنها كروية، وفي كل ميل يقطعه مع القاف كان يزداد تعجبه من أشكال الأسماك الكبيرة للغاية التي ربما يفوق حجمها حجم بلادًا كاملة، وهي تتلألأ في الماء مثل القناديل المضيئة، وكلما قطع المسافة كان يشعر بأنه يقترب من النجوم أكثر وأكثر، ويملؤه الشغف لأن يلمس النجوم ويراها عن قرب، ثم نظر ليجد بخارًا زهري اللون علىٰ بعد منه في الماء، يلتف الدخان فيها بشكل دائري ليصنع شكل زهرة بديعة، فسأل القاف ما هذا الدخان هناك؟

ضحك القاف قليلا ثم قال: هذا ليس دخانًا، وهل يستطيع الدخان أن يمكث تحت الماء! إنه غبار، فكرر آسر الكلمة متعجبا قال: غبار!

قال القاف: نعم غبار يأتي متساقطًا في الماء من السطح.

قال له آسر: وهل غبار السطح لونه زهري؟

رد عليه القاف بالإيجاب، وفجأة حدث معهم ما لم يكن بالحسبان؛ حيث وقعت نجمة من الأعلىٰ تلتها نجمة أخرىٰ، وبدأت النجوم المتساقطة في صنع دوامات تشبه الأعاصير، وتسحبهم في اتجاهها، ولكن القاف كان شديد الحرص علىٰ آسر، كان يمسكه بقوة حتىٰ لا ينجرف مع الدوامات المائية، والتي مع مرور الوقت أصبحت لوحة فنية بديعة حيث انطفأت النجوم، ولكن الأسماك التي انجرفت بداخلها وهي تضيئ بألوان بديعة للغاية زادت الأمر جمالا، ومضيا في طريقهما وهما نحو النجوم المتلألئة داخل الماء، وكانت المفاجأة بالنسبة لآسر أن وجد النجوم ما هي إلا ثمار معلقة في شجرة تمتد غصونها لأقصىٰ اليمين، وهي تقف رأسًا علىٰ عقب داخل الماء، وجذور هذه الشجرة تمتد في أرض في الأعلىٰ.

اقتربا أكثر من الشجرة وبدآ بالسباحة بداخلها وحول ثمارها المضيئة، إلىٰ أن وقعت إحدىٰ هذه الثمار العملاقة بعد أن اكتمل نضجها، وكانت المفاجأة فور سقوط الثمرة النجم، أن نمت ثمرة نجم أخرىٰ بدلا منها علىٰ الفور، وأخبر القاف آسرًا معلومات عن هذه الشجرة الأكثر من رائعة؛ منها أن ثمرها لا ينقص أبدا مهما تساقط، وهي إحدىٰ العلامات التي ترشد الحروف في أرضهم لوجهتهم الصحيحة، وكذلك هي ثابته ولا تتحرك أبدا، وجذورها ممتدة في السماء السادسة، والشجرة تدور مع أرض السماء السادسة بنفس مقدار السماء الأولىٰ بدقة، فلا يلحظ أهل السماء السابعة أي اختلاف في مواقع النجوم، ولو علمت الحروف الأمر لفهمت كم هو عظيم خلق السماوات والأرض، فكيف هذا الإتقان والتناسب التام والتناسق بين كل سماء وأخرىٰ.

تيقن آسر في هذه اللحظة أنه قد وصل للسماء التالية، ولكن كان الأمر الذي يشغله أين هو مدخل السماء السادسة؟! وبدآ في الإبحار بشكل أفقي، يشاهدان معًا هذه الأرض التي تمتلئ بالمرجان والأسماك العجيبة الرائعة، ويشاهدان الألوان التي لم يرياها من قبل، حتىٰ انتهت الأرض فوقهم وبدآ بالسباحة صعودًا لأعلىٰ، كانت هناك جحور كثيرة في الأرض، وسبحا بجوارها صعودا، وكل جحر من هذه الجحور يسكنه

نوع من الأسماك، وكانت أغلب الأسماك ألوانها رائعة متداخلة مثل تداخل ألوان الطيف، حتىٰ وصلا إلىٰ سطح أرض أخرىٰ وكأن ليس لها آخر، وليس هناك طريقة لينفذا منها، ووقفا عاجزين عن المرور، يفكران في الطريقة المثلىٰ لعبور هذا السطح، واقترح القاف أن يدخلا جحرًا من هذه الجحور ويكتشفا ما بداخله سويا، ربما يستطيعا الوصول لداخل السماء السادسة، ودخلا سويا وبدآ بالصعود وهم يسبحون في ممرات ضيقة للغاية بالكاد تكفيهما للمرور، وقال آسر للقاف: لابد أنها ممرات تمر منها الأسماك.

سبحا لمسافة كبيرة للغاية إلىٰ أن انتهىٰ هذا النفق، وخرجا منه ليجدا نفسيهما داخل مساحة كبيرة أخرىٰ من الماء، ويظهر ضوء السطح، وبدآ بالصعود أكثر وأكثر، حتىٰ وصلا إلىٰ السطح، وما إن وجدا أنه مسطح مائي هائل حتىٰ ظنّا أن ليس له أول ولا آخر، وجهلا الخطوة التالية، وبدآ يتساءلان: هل نعود أدراجنا أم نكمل السباحة!

كان أكثر شيء يشغل آسر أن يعلم هل هناك فرق بين السماء السابعة والسادسة أم هما متطابقتين في كل شيء، وسأل القاف عن وجود بقعة طواف أيضا في هذه السماء فأخبره القاف بثقة أن جميع السماوات بها

بقعة طواف في المنتصف، ونظر إليه آسر باندهاش وسأله: هل جئت إلىٰ هنا من قبل؟ وكانت إجابة القاف بالسلب، وتساءل آسر كيف له أن يعلم كل هذه الاشياء وهو لم يأتِ من قبل.

أوضح القاف الأمر حيث قال: إن جده الأكبر كان يحكي له عن مغامراته في أنحاء الكون، وأنه كان يتطلع أن يخوض هذه المغامرة مثل جده، وهو محظوظ حيث تمكن من الوصول لهذا الحد، وكانت المفاجأة بالنسبة لهما عندما وجدا حرفًا يشبه القاف، ويسبح داخل الماء، و كان حجمه أكبر منه حيث كان عملاقًا للغاية وحجمه تقريبا ضعف حرف القاف الآخر، نادىٰ عليه وقال: يا هذا.

فالتفت يبحث عن مصدر الصوت، ونظر ليجد آسر شكله بالنسبة له غريب للغاية فلم يرىٰ من قبل كائن في مثل شكل آسر.

وكانت طريقة حديث القاف العملاق بطيئة للغاية، ولونه يميل إلىٰ الأزرق النيلي، علىٰ عكس القاف لونها بنفسجي، وتساءل عن موطنهم ومن أين جاءا، وأجابه القاف أنهما قد أتيا من سماء أخرىٰ أسفل هذه السماء، فضحك العملاق كثيرا، وقال لهم: ليس هناك سماء أخرىٰ أسفل منا، ولكن حاول القاف أن يشرح له الأمر؛ حيث قال إن هذه

السماء أسفل محيطكم هذا، ولكن العملاق أخبرهم أنه ليس هناك أرض تحت المحيط، لا يوجد سوىٰ أسماك.

وتسرع آسر في الإجابة عليه حيث قال له: بل هناك وأنت لا تعلم، لقد مررنا من ممرٍ ضيقٍ للغاية وصعدنا لنجد أرضكم.

فما كان من العملاق إلا أن أخبرهما أنهما يجب أن يأتيا معه فورا إلىٰ الحاكم حتىٰ يقدمهما له، وأضمر في نفسه أنه سوف ينال مكافأة كبيرة للغاية من الحاكم إذا دخل عليه بهذه الهدية، فقلق القاف وسأله عن اسم حاكم بلادهم فأخبره العملاق أن من يحكم البلاد في أرضهم «الحاء»

فارتعب القاف خوفا عندما علم أن حاكم بلادهم الحاء، فهمس آسر للقاف بصوت منخفض حتىٰ لا يسمعهما العملاق وسأله عن سبب ارتعابه إلىٰ هذا الحد، فأجابه القاف أنه يخشىٰ من الحاكم، فطمأن آسر وقال له لا داعي للذعر، سوف نذهب معه في سلام ونشاهد بلادهم لا أكثر.

لكن القاف قال: لا، أنت لا تعلم شيئًا عن الحاء؛ فهو لا يصلح لأن يكون ملكا، فهو بطبعه أناني ويحب أن يحصل علىٰ كل شيء، وإذا علم بوجود سماء أخرىٰ سوف يستولي عليها، وربما يقوم بتدميرها.

آسر لم يقتنع، وقال له لقد أخبرتني أنه لا يمتهن مهنا في عالمكم إلا إذا كان كفئًا لها، بل ويولد الحرف ليصنع ما خلق له، كيف لك أن تغير أقوالك بهذا الشكل؟

قال القاف له: لا أعلم! إنها سماء أخرىٰ وعادات أخرىٰ، وربما تختلف عن سمائنا،

قال آسر: لا أعتقد، لابد أن الحاء فىٰ هذه السماء صفاته تختلف وتكون أرقىٰ.

قال له القاف كيف يمكنك أن تستنتج هذا الأمر؟

قال له: لأن السماوات حجمها يزداد كما ترىٰ وتكبر وتكون أعظم، ولا بد أنها تكون أرقىٰ أيضا، وأعتقد أن الأمر سيتضح لنا عندما نسير أكثر في أرضهم، وقتها سوف نفهم كل شيء، ولكن يا صديقي لا داعي للقلق.

قطع العملاق حديثهم وهو مغتاظ مما يحدث، لأنهما يتهامسان ولا يسمع شيئًا مما يقولان أبدا، فحملهما ووضعهما بداخله وبدأ السباحة بسرعة جنونية.

همس القاف في هدوء: يجب علينا الهرب منه، ثق بي أرجوك، سنتجول ولكن أنا أفضل أن نكون أكثر حرية، فقال آسر: حاضر يا صديقي، فقال له القاف عندما تأتي الفرصة المثالية لنهرب منه سأخبرك.

وافقه علىٰ قوله وقال له لابد أن ننتظر حتىٰ نصل لليابسة، ووقتها ستكون هناك فرصة للاختباء والهرب. انطلق بهما العملاق لمسافة طويلة للغاية حتىٰ ظهرت اليابسة، فنظر القاف لآسر وأخبره أن يتأهب للهرب.

همس آسر للقاف: لم لا تضعني بداخلك ونختفي عن الأنظار مثلما فعلت عندما كنا عند نقطة الطواف؟

الفكرة أعجبت القاف كثيرًا، وما إن وصلا إلىٰ اليابسة، التف القاف حول آسر واختفىٰ عن الأنظار، وجن جنون العملاق وهو يبحث عنهما في كل مكان ولا يجدهما، وبدآ في التجوال وهما متخفيان عن الأنظار، وكانت

تفاصيل الأرض تشبه أرضهم تمامًا، ولكن كل شيء حجمه عملاق؛ المنازل، والسيارات، ولديهم نفس شجرة الدواء، ولكنها كبيرة للغاية ولونها ليس بنفسجيًا، وإنما أزرق نيلي مثل لون العملاق تماما، ولديهم حشرة الشمس عملاقة جدا، وفوجئ آسر بساعة عملاقة للغاية في ميدان كبير، عدد الأرقام الموجودة بها ثمان وأربعون ساعة، تعجب القاف وآسر من الأمر وبدآ يتساءلان كيف تكون ساعات اليوم لديهم كثيرة للغاية؟ وحاولا فهم الأمر، وتساءلا «هل من الممكن أن يكون السبب أن كل شيء كبير وحركته بطيئة للغاية؟ فربما أربع وعشرون ساعة عندنا تساوي نفس الزمن عندهم، ولكن الزمن عندهم يسير بشكل أبطأ لا أكثر»

أكثر ما شغلهم كيف يمكنهم الخروج، فخطرت لآسر فكرة؛ حيث قال للقاف: ما رأيك أن نصل لمنطقة الطواف وننزل لسمائنا عبر أنبوب اللام؟

وافقه القاف، وقال له بالفعل هذا هو الحل الأمثل للخروج من هذه الأزمة، ولكن ما أدراني أين هي نقطة المنتصف!

قال آسر: لا يوجد حل سوىٰ الاهتداء بالنجوم، فنذهب أسفل منتصف شجرة النجوم.

قال له القاف: أوافقك، ولكن نحن ما زلنا نهارا، كيف يمكننا أن نهتدي بالنجوم وأشعة الشمس تضغىٰ علىٰ نور النجوم.

قال آسر: معك حق، ولكن اليوم لديهم طويل للغاية، كيف يمكننا أن ننتظر كل هذا الوقت؟

ولكن كان اقتراح القاف أن يمضيا في طريقهما نحو الشرق لأنهما دخلا إلىٰ هذه السماء من ناحية الغرب من طرفها ولا بد أن يكون المنتصف في ناحية الشرق، ومضيا في طريقهما، ولكن كان آسر والقاف يشعران بجوع شديد للغاية، ففكرا أن يأكلا من الشجرة البرتقالية بعض ثمارها أو يشربا من بعض عصيرها، فوقفا مختبئان خلف شجرة عملاقة يحاولان الوصول إلىٰ بعض من سائلها، ولكن الفواكه التي بداخلها السائل عالية للغاية، فما بال الثمار؟ كيف سيصلون إليها، فقال القاف: إن الوصول إلىٰ إحدىٰ هذه الثمار شيء شبه مستحيل، ولكن ربما إذا حملتك وقتها ستتمكن من أن تشرب من سائل الشجرة حتىٰ ترتوي.

وافق آسر، وصعد فوق القاف، ولكنه مازال قصيرًا، يتبقىٰ القليل حتىٰ يصل إلىٰ فوهة الشجرة، قال آسر للقاف: فلتدفعني قليلا حتىٰ أتمسك بحافة الفوهة وأتسلقها.

فدفعه القاف دفعة قوية للغاية، فوقع آسر داخل فوهة الشجرة، وبدأ يغرق داخل السائل الأزرق النيلي، وأخذ يصرخ ويطلب المساعدة من القاف، ولكن القاف ليس بيده حيلة، إنه فقد كل قوته بسبب الجوع الشديد الذي يشعر به، ولم تعد لديه طاقة للحركة، إلا أن آسر استطاع أن يمسك بطرف الفوهة جيدًا، والتقط أنفاسه، وغمس يديه وبدأ بتناول هذا السائل، وقد كان طعمه ألذ وأطعم من هذا الذي تذوقه في السماء السابعة، وظل يتناول منه حتىٰ امتلأت معدته تماما، كان مستمتعًا بالأمر حتىٰ أنه نسي أمر القاف، وبدأ القاف ينادي عليه، فتذكر أمره، وحاول دفع نفسه ليصعد علىٰ طرف فوهة الشجرة، وما إن نجح في الأمر حتىٰ قال للقاف: افتح فمك؛ سأنزل لك بعضًا من السائل.

وغرف بيده وأنزل السائل في فم القاف مباشرة، فعل الأمر مرار وتكرارا حتىٰ امتلأت معدة القاف تماما، ونظر آسر للقاف ليجده قد تحول لونه إلىٰ اللون الأزرق النيلي بعد أن كان لونه بنفسجيًا، فقال له: ما هذا؟ إن

لونك أصبح نيليًا مثل هذا العملاق. ولم يكمل آسر كلامه حتىٰ دخل عليهم العملاق وهو يقول لهم: لقد وجدتكم.

فقفز آسر داخل الشجرة وغاص داخل السائل حتىٰ يختبئ منه، أمسك العملاق بالقاف، ومد يده الأخرىٰ داخل فوهة الشجرة، وأخرج آسرًا ممسكا به من ثيابه، وكان السائل يتساقط منه، فذهب به إلىٰ شاطئ المحيط وغمسه في الماء بضع مرات بغرض تنظيفه، وفي كل مرة لا يكاد يأخذ أنفاسه حتىٰ ينزله العملاق مرة أخرىٰ، حتىٰ أصبح نظيفًا تماما، ولكن هذه المرة تتساقط منه قطرات الماء، فأراد العملاق تجفيفه؛ فنفضه بضع نفضات بيده، وكان آسر يصرخ في كل مرة وكأنه يستقل إحدىٰ الألعاب في مدينة الملاهي، وكان القاف في اليد الأخرىٰ لا يفعل شيئًا سوىٰ أنه قد دخل في نوبة من الضحك لا يستطيع التوقف عنها، وما كان من آسر إلا أن صرخ قائلا بصوت مرتفع للغاية: كفىٰ.

أدرك العملاق أنه يؤذيه بهذا الشكل، فتوقف معتذرا، ولكن مع ذلك ضحكات القاف لا تتوقف أبدا، فالتفت له آسر والعملاق، وهما ينظران له بغضب، فتوقف عن الضحك في الحال، والتف العملاق وبدأ بالسير

وهو يحملهما، كان آسر وهو يشاهد أرضهم يقول في نفسه «إن الرؤيا من هنا أفضل بكثير»

لم يعد يشعر أنه قزم، وإنما يرىٰ كل شيء بوضوح، فقفز إلىٰ رأسه سؤال مهم للغاية، وقال بما أن القاف عندما كان يتناول الفاكهة البنفسجية كان لونه بنفسجيًا، وعندما تناول الفاكهة الزرقاء النيلية أصبح لونه كذلك، فربما اللون والعرق في بلادنا أيضا يتوقف علىٰ طرق العيش والمأكل والملبس، والمناخ، وطبيعة الأرض. ولم يكن آسر يعلم هذه المعلومة سابقا، ومما خطر علىٰ باله أيضا، بما أن كل سماء تعلو سماء تكون هي الأرقىٰ؛ لابد أن الألوان تتدرج في رقيها أيضا، يبدو أن الأزرق النيلي خواصه أرقىٰ من البنفسجي، ولكن كيف له أن يثبت ذلك الأمر، قال في نفسه «ربما بإحصاء القيمة الغذائية في الفواكه البنفسجية والفواكه الزرقاء النيلية، والتي تكون قيمتها الغذائية أعلىٰ ستكون هي الأرقىٰ بكل تأكيد»

قاطع تأمله وتفكيره بناء عظيم لم يرَ في حياته كلها شيئًا يشبهه، فانبهر بجمال المعمار الذي كانت أحجاره كلها عبارة عن نصف دائرة، كل حجارة ملتفة حول الأخرىٰ بشكل جذاب غير مسبوق بعبقرية معمارية فذة، هنا بدأ آسر في مراجعة نفسه قليلا، لأن البناء في أرض البشر تكون

القاعدة الأساسية فيه هي الأضلع الأربعة، والزاوية المزدوجة، وكان يتساءل: «لماذا تعتمد الأحرف النصف دائرة لديها بشكل مقدس للغاية؟ لا بد وأن هناك سر» وكان فضوله يحتم عليه معرفته.

وقف العملاق خارج هذا البناء العظيم سائلًا بعض حروف الباء العملاقة _نيلية اللون أيضًا_ الدخول للحاكم، فبادروه بالسؤال عن السبب، أجابهم: معي أقزام جاؤوا من سماء أخرىٰ يقولون إنها أسفل سمائنا، وأردت أن يراهم الملك.

فانكب حراس الباء ضاحكين وقالوا له: لا بد أنك جننت، لم نسمع عن هذا الشيء من قبل.

فأظهر آسر والقاف لهم، فوقفوا منبهرين مما رأت أعينهم، وأبلغوا الحاكم، فأعطىٰ الحاكم الإذن بدخولهم إلىٰ مجلسه.

مجلس حاكم السماء السادسة

دخل العملاق، ولا شيء يشغل تفكيره ويسطر عليه سوىٰ هذه المكافأة التي تنتظره فور رؤية الحاكم للقزمين اللذين يحملهما معه، اتجه نحو مجلس الحاكم بوقار، وألقىٰ التحية والسلام وانحنىٰ إجلالا له، قال له الحاكم (الحاء): هات ما عندك.

أخرج آسرًا والقاف ووضعهم أمام الحاكم وقال: سيادتكم لقد وجدت هذان، وجدتهما في مياه المحيط داخل الحدود الشرقية، وسألتهما من أين جاءا، أجابني هذ الكائن الصغير أنهما قدما من سماء أسفل سمائنا.

قال الحاكم: وهل هذا يعقل؟ هل يتكلم بالأساس؟ فهز آسر رأسه بالسلب إشارة علىٰ أنه لا يتكلم خوفا من الحاكم، ولكن سرعان ما أدرك أنه مخطئ في تقديره للموقف، وما كان له أن يبدي أي تعبير، وأجاب العملاق نعم يا سيدي، يتحدث باللغة العربية بطلاقة، ولكن هذا القاف يتحدث بلهجة عامية ركيكة للغاية لا أكاد أفهمها، التفت الحاكم إلىٰ آسر، وقال له: يا أنت اقترب.

فأشار آسر بإصبعه لنفسه بطريقة كوميدية للغاية، وكأنه يسأل: أنا؟ فقال الحاكم: نعم اقترب إلىٰ هنا حالا.

اقترب آسر إليه بخطوات مترددة للغاية، وعندما اقترب قال له الحاكم: أخبرني بقصتك يا هذا، ما جنسك ومن تكون؟ أخذ آسر نفسا عميقًا مستجمعا لشجاعته، وشد ظهره ووقف انتباها، وقال يا أيها الحاكم، ولم يكمل كلامه حتىٰ انفجر الحاكم ضحكا قائلا: إنه يتحدث يا للعجب! وصوته مضحك للغاية.

فكشر آسر بوجه، وقال يا جلالة الحاكم أنا آسر سفير العربية وحاميها، فانفجر الحاكم ضحكا من جديد علىٰ نبرة صوته وعلىٰ جملته، وكان العملاق سعيدًا مما يحدث، ويقول في نفسه لا بد أن مكافأتي سوف تزيد بعد هذه الضحكات التي يطلقها الحاكم.

لم يأبه آسر لما يحدث، ووقف بثبات محاولا تضخيم نبرة صوته قائلا: أنا آسر سفير العربية وحاميها، جئت من أرض الناس، وأنا من جنس البشر، وهذا صديقي القاف من السماء السابعة من أرض الحروف، تعجب الملك مما سمع، وقال: إنها المرة الأولىٰ التي أسمع فيها عن الجنس البشري، ولم أكن أعلم أن هناك سماءً سابعة.

فأجابه آسر: بل هناك يا سيدي، فقال له الحاكم: وما الذي جاء بكم إلىٰ هنا، قال: أسافر أنا وصديقي القاف عبر السماوات السبع في عالمكم، حتىٰ أكون لكم سفيرًا وأحميكم في أرض الناس وأكتب عن بلادكم وتقدمكم الذي لم أرَ له مثيلًا، ليتعلم منكم البشر في عالمنا.

أعجب الحاكم بكلام الصغير، وقال له: يا ترىٰ أين تقع بلادكم؟ قال آسر لا أعلم تحديدًا لأني آتي من بوابة سحرية، فسأله الحاكم: كيف يمكنني أن أساعدك أيها السفير الصغير، فأجابه: أن تعطيني مخطوطات

تاريخية مدون فيها كل شيء عن سمائكم، وفيها كافة التفاصيل اللازمة لأحملها لعالمنا، ونستخدمها في بلادنا لنتقدم سياسيا وعسكريا واقتصاديا وعلميًا، فقط بتوجيهاتكم، وأسلوب حياتكم.

قال الملك وهل هذا يعقل؟ قال صدقني أيها الحاكم، نحن بحاجة إلىٰ مساعدة ماسة من الحروف العربية، فنحن في حالة يرثىٰ لها، الحروب تجوب البلاد، والوباء منتشر، اللاجئون في كل بقاع الأرض، والأطفال لا تتعلم، والشباب فاقدون للأمل، أيها الحاكم أرجوك أن تساعدنا.

نظر الحاكم لآسر نظرة تعجب، كيف لطفل صغير أن يعي كل هذا ويتحدث بثقة، ولديه صدق المشاعر في كل ما يقول، فقال له: لك كل ما شئت أيها الصغير.

ثم نظر الحاكم للقاف وقال له: وأنت... ألن تتكلم؟ فأجابه القاف: بعدما تأذن لي بالحديث أيها الحاكم، فقال الحاكم تفضل. قال: كل ما قاله صديقي صحيح ولا يوجد به شيء خاطئ علىٰ الإطلاق، ولكن هناك طلب إضافي، فسأله وما هو؟ قال وسيلة تنقلنا حتىٰ السماء الخامسة. فقال الحاكم وهو متعجب من هذا الطلب: ألن يكفيكم مخطوطات سمائنا؟!

قال آسر: بل تكفي بكل تأكيد، ولكن رغبتنا أن نلتمس النور حتىٰ سطح الكون، وما إن قال جملته حتىٰ نظر إليه الحاكم نظرة معجب، وقال له: أيها الصغير، أنا الحاء حاكم البلاد، وحامي الأقطار، والمحيط بكل كبيرة وصغيرة في سمائي، وما كنت أظن أني سوف أجد أحدًا في يوم لديه هذه الرغبة الملحة في الوصول أكثر مني، ولكنك أيها الصغير قد فقت كل التوقعات، وأثبت أن البشري يستطيع أن يلم بصفاتنا جميعا نحن الحروف دون أن أرىٰ بشريًا غيرك، أنتم فعلا جنس مميز؛ لذلك لك ما شئت.

وخرج الجميع من مجلس الحاكم فائزين حاصلين علىٰ جميع رغباتهم، العملاق قد حاز مكافأة عظيمة، آسر والقاف وصلا لمبتغاهما، الحاكم أحاط علما بتعرفه علىٰ جنس مميز للغاية من عالم آخر، هو عالم البشر.

الخروج من السماء السادسة

أمر الحاكم أحد حراسه باصطحاب آسر والقاف إلىٰ قاعدة المركبات الجوية، ومنحهم مركبة توصلهم حتىٰ بلورة سمائهم ويسلمهم مخطوطة تاريخية عن سمائهم، وفي أثناء توجههم إلىٰ قاعدة المركبات عبرت إحدىٰ سيارات الحاكم الفاخرة متقنة الصنع.

قال آسر للقاف: يا صديقي، ألم أخبرك ألا تخشىٰ شيئًا؟ فلقد وصلنا إلىٰ مبتغانا. فأجابه قائلا: معك حق يا صغيري، فابتسم آسر له وقال: ألا تحب أن ننظر من النافذة؟ فقال بالطبع أحب.

وصعد الاثنان ليريا ما خلف نوافذ السيارات، وأثناء تطلعهم قال الصغير في نفسه «هذه السماء أكبر حجما، وسكناها كذلك، وهم أكثر تطورا من السماء السابعة، حتىٰ لغتهم التي يتحدثون بها أكثر فصاحة، يا ترىٰ ما السبب وراء هذا التقدم؟ هل وفرة الوقت في يومهم، أم لكبر حجمهم، لا بد أن هناك سرًا خلف كل هذا»

وصلت سيارتهما الخاصة إلىٰ قاعدة المركبات الجوية، وما إن رأيا القاعدة حتىٰ بدآ بالتحديق في بعضهما البعض، وإعادة النظر إلىٰ خارج السيارة انبهارا بعظمة هذه القاعدة وحجمها المهول، وعدد المركبات الكثير للغاية والفاخرة أيضا، فهي تشبه المركبات في السماء السابعة علىٰ هيأة حرف الألف ولكن قد وضعوا لها همزة من الأسفل فتحولت إلىٰ مركبة مهموزة، وتساءلا عن سبب هذه الهمزة، فأجابهما حارس الملك أنها تزيد من سرعتها فتجعلها تخترق أي عائق يمر أمامها.

ترجلا من السيارة وسلم الحارس آسرًا حقيبة ظهر صغيرة، وأخبره أن بداخلها كل ما يحتاج من مخطوطات، فالتفت آسر إلىٰ أن الحقيبة تناسبه تماما، وسأل الحارس من أين لكم بحقيبة من نفس مقاسي؟ فضحك الحارس وقال له: صنعت لك خصيصا، فقال له: بهذه السرعة؟!، قال له الحارس: إن الحاكم قد أمرنا، فكيف لا تصنع بسرعة، فسأله آسر: عندما نخرج من هنا وندخل في المجال المائي هل ستتحمل الحقيبة، أم سوف يدخل الماء إليها وتتضرر المخطوطات؟ أجابه الحارس: لا تقلق أبدًا، لقد حسبنا حساب كل شيء، فقط انطلقا وأنتما مطمئنان، فشكرا الحارس كثيرا وحمَّلاهُ شكرهما وسلامهما للحاكم، صعدا إلىٰ مركبة الهمزة وانطلقا إلىٰ بلورة النون.

بلورة السماء السادسة

أثناء انطلاقهما، فتح آسر المخطوطات، فقد كان لديه فضول حتىٰ يعلم ماذا كتب فيها، ومع أول صفحة قد فتحها وجد الشجرة الزرقاء النيلية وقد كتب تحتها اسم شجرة الوقاية، فنظر للقاف وقال له ليس اسمها الدواء مثلما لديكم وانما يلقبونها بالوقاية. فطلب القاف من آسر أن يغلق المخطوطات ويضعها داخل الحقيبة، لأنهما قد وصلا. فنظر آسر ليجد بالفعل أمامهما بوابة السماء السادسة، فوضع المخطوطات في مكانها

وحمل الحقيبة، وترجل هو والقاف ودخل من خلال أول بوابة لطبقات السماء السادسة، وكان فيها نفس المتاهات التي وجداها في السابعة، ولكنها أكبر حجما، دخل من باب بعد باب حتىٰ الباب الخامس للسماء السادسة، وجدا أنفسهما أمام المحيط الخارجي، ويفصلهما باب واحد فقط عنه.

وهنا فهم آسر أن السماء السادسة لغلاف النون يتكون من ستة أبواب فقط، فقال للقاف هذا عجيب. قال له وما العجيب في الأمر، السماء السادسة أصبحت أقرب من السطح، بالتأكيد ضغط الماء سيكون أقل عليها، فمن الطبيعي أن تكون ستة أبواب وليست سبع.

فتح آسر الحقيبة مرة أخرىٰ؛ الفضول في أن يعرف أكثر لا يجعله ينتظر حتىٰ يصل إلىٰ المنزل، وما إن فتح الصفحة الثانية حتىٰ وجد صورة رائعة لبقعة الطواف، ومكتوب تحتها عدد مرات الطواف حول بيت الطواف ستة، فقال للقاف: انظر إنهم يطوفون حول بيت الطواف ست مرات فقط، أنتم في السماء السابعة تطوفون سبعًا، صحيح؟ قال له نعم.

هنا فهم آسر أن الرقم ستة يتحكم في كل شيء في هذه السماء، فنظر إليه القاف وقال له: ألم تكتفِ؟! هيا بنا، أمامنا طريق طويل حتىٰ نصل إلىٰ

السطح. قال له آسر: معك حق، هيا بنا. وأدخل المخطوط مرة أخرىٰ وقال للقاف: أنا جاهز، فقال القاف: حسنًا تَمَسّك جيدا.

فتحا الباب السادس وانهمر الماء بغزارة نحو الداخل حتىٰ امتلأت الغرفة السادسة بالماء، وخرجا في هدوء من هناك، وأقفلا الباب خلفهما، هنا خطر في عقل الصغير سؤال وقال للقاف: ماذا لو تركنا جميع الأبواب في جميع السماوات مفتوحة؟ قال له: بالطبع سوف ينتهي عالم الحروف بأسره، إلا في حالة أن كل سماء أرسلت مركبة لإغلاق أبواب سمائها، ولكن لم قد نفعل هذا، قال آسر: بالطبع لن نفعل هذا، وإنما أتساءل فقط.

الطريق إلى السماء الخامسة

مضيا في طريقهما متجهين غربا نحو النجوم، وعادا ليشاهدا جمال الكون من جديد خارج السماوات، من أسماك وغبار السطح المتساقط داخل الماء، وتساقط ثمار النجوم التي تصنع الدوامات الهائلة التي تأخذ معها كل شيء حتىٰ القاع، فتكون نجومًا خُنّسًا منطفئة تجري دون أن تراها الكائنات، ولكن سرعان ما تصنع تلك الدوامات الهائلة، وتجري وتكنس كل شيء معها أثناء سقوطها.

هنا توقف آسر عن السباحة للحظة، ووقف القاف سائلًا له: لم توقفت؟ قال له آسر: لم أفهم يوما ما معنىٰ الجواري الكُنّس، ولم أفهم لم الليل عسعس بعدها واشتدت ظلمته، ولكن هذا المشهد العظيم بعدما تكرر أمامي فهمت السبب، قال القاف له: وماذا فهمت يا صديقي؟

قال: فهمت أن النجم عندما ينطفئ ويغوص ويكنس كل شيء معه من غبار وأجسام مضيئة يشتد صفاء الماء وتزيد ظلمته، ووقتها عندما تضرب الشمس بأشعتها الذهبية في الماء تسير دون عوائق ولا شيء يقف أمام شعاعها، فتكون مثل المرء الذي يتنفس بحرية دون أي عوائق تعيق تنفسه، لذلك الصبح يتنفس بعد عسعسة الليل، والليل يعسعس بعد أن تمر الخنس تكنس وتنظف، أتعلم يا صديقي...

قال القاف ماذا تريد أن تزيد علىٰ قولك الرائع هذا.

قال: نحن البشر نشبه ماء السماوات السبع التي خلقنا منها.

قال: القاف في أي شيء؟

قال: نحن نتوضأ ونغتسل ونقيم العبادات لنزيل كل شائب مادي ونفسي ونتنفس مثل الصباح عندما يتنفس، نحن نشبه السماوات السبع بكل

تفصيلها وتفاصيل مائها الذي تغمر به، نحن نمتلك شمسًا بأجسادنا وقمرًا كذلك، عقولنا تضيء مثل الشمس، وقلوبنا قمر منير، آسر يتحدث وتزداد اللمعة في عينيه وتتسع حدقتها، ويزداد بياضها نقاءً وكأنها تضيء.

فيقول القاف له: يا صديقي لم أخطئ في اختياري ليك، أنت من هؤلاء الذين قيل عنهم أولي الألباب، ولكن لا أعلم كيف وأنت ما زلت صغيرًا.

فقال آسر وقد انهمر الدمع من عينيه للمرة الثانية: لقد نضج واستوىٰ فؤادي مثلما تم استواء العرش.

قال له القاف: صدقني لم يعد أمامك الكثير حتىٰ تصل للسطح، ستفهم وقتها أن ما تعلمته حتىٰ الآن لا شيء، استواء عرش الكون ليس بالأمر الهين يا صديقي، هنا أفاق آسر مما هو فيه وقال: الوقت يداهمنا هيا بنا.

وانطلقا في طريقهما.

على أعتاب السماء الخامسة

شجرة النجوم هذه المرة أكبر بكثير، وثمرتها ضعف ثمرة النجم في السماء السادسة، والسماء الخامسة أكبر وأكبر، قال آسر للقاف: هذه

المرة أريد رؤية أنبوب اللام من الخارج، قال له: بهذا الشكل يجب علينا السباحة إلىٰ أقصىٰ الغرب، ونتدارك السماء بقليل وسوف تراه، فسأله آسر: ولم لا يظهر شكل الأنبوب من هنا؟ قال له القاف: لأنه شفاف تماما كما رأيته؛ فلا يظهر ويرىٰ بوضوح إلا إذا اقتربت منه للغاية، فقال له آسر: هيا نذهب إلىٰ هناك.

وبدآ بالسباحة نحو الغرب، والنجوم تضيء لهما الطريق، وهما يسبحان بجوارها، ويمرحان؛ يدخلان بين أغصان شجرتها العملاقة، ويمرحان بوقتهما، حتىٰ وقف آسر فوق إحدىٰ الثمرات العملاقة، فسقطت علىٰ سهوة منه، وكادت أن تسحبه معها، ولكنه تعلق بفوهة الغصن هناك، وأثناء تعلقه وتشبثه بها نزلت منها مادة زيتية شبه مضيئة، فتركها، فنمت علىٰ الفور ثمرة أخرىٰ، سأل آسر القاف عن هذه المادة الزيتية التي خرجت من غصن الشجرة أثناء سباحتهما نحو الغرب.

قال له القاف: إنه الوقود الذي تنتجه الشجرة ويخرج من أغصانها ويجعل الثمار تضيء، فكرتها تشبه فتيل القناديل عندكم، فيا صديقي شجرة النجوم شجرة لا شرقية ولا غربية تنمو أسفل كل سماء وتقع في منتصفها تماما، وتمتد أغصانها حتىٰ أقصىٰ الشرق وأقصىٰ الغرب، يكاد

الزيت الذي يخرج منها أن يضيء، فنور زيتها علىٰ نور ثمرة النجم، يمثل نورًا يكاد يضيء علىٰ نور آخر مضئ، لذلك هو نورٌ علىٰ نور، ولذلك أيضًا النجم والشجر يسجدان سويا، لأن وظيفتهما مرتبطتان ببعضهما البعض، فيتم سجودهما معا ونراهما وهما يطلان علىٰ كل سماء بنورهما، وكما ترىٰ بين كل ثمرة وأخرىٰ مساحة هائلة للغاية...

فقطع آسر حديثه وقال: يا صديقي، انظر لقد وصلنا، إنه أنبوب اللام، التف آسر حول الأنبوب، وهو يشاهده عن كثب، ومنبهر بضخامته، وما إن التف حتىٰ رأىٰ القاف خلف الأنبوب ضخمًا جدا، وكأن الأنبوب يعمل كعدسة مكبرة، والقاف كذلك وبدأ الاثنان في الضحك معا علىٰ هذا الأمر الطريف، والتف آسر أكثر ليلحظ أن هناك بابًا في الجانب الآخر من الأنبوب، ونادىٰ عليه ليخبره بالأمر، فقال القاف: يا للهول! ما كنت أعلم بوجود بوابات داخل الأنبوب، فقال آسر هيا بنا إذا، قال له القاف: انتظر، ماذا سوف تفعل، قال له: سوف أدخل إلىٰ هناك، قال له: لا تتسرع، أنت لا تعلم العواقب التي سوف تحدث في حالة دخولنا إلىٰ هناك من هذا الباب، فوقف آسر يستمع لما يقوله القاف، سائلًا إياه: ما الذي سيحدث يا ترىٰ إذا دخلنا إلىٰ هناك؟

قال: يا صديقي أرجو أن تفكر كثيرا قبل أي خطوة تخطوها في حياتك، فربما تكون العواقب وخيمة وأكبر من أن نستطيع تداركها، يا صديقي فكر قليلا إذا فتحنا هذا الباب ما الذي قد يحدث؟ قال آسر: سندخل إلىٰ هناك.

فقال القاف: هذا صحيح، ولكن لن ندخل بمفردنا وإنما الماء سيدخل معنا باندفاع شديد ونحن سننجرف مع الماء، ولن نستطيع إغلاقه أبدا، وسوف يختل النظام الكوني بأسره بسبب بوابة صغيرة مثل هذه، قال له آسر: فعلا معك كل الحق يا صديقي، فقال له القاف: إذا أردت الدخول للأنبوب فلندخل داخل السماء وندخل من هناك، بالأساس من السماء الخامسة وجب علينا أن نستقل الأنبوب.

فسأله آسر: ولماذا يا ترىٰ؟ قال له: لأن هذا الأنبوب يعمل علىٰ تغيير خواص الأجسام، وتكبيرها حسب السماء المتجه إليها، ومن السماء التالية سيكون حجمنا بالنسبة لهم مثل الصرصور، ثم سنكون مثل النملة، وبعدها سندخل في بعد آخر وزمن آخر تماما؛ حيث سنكون بالنسبة لهم مثل الجراثيم لا نراهم أبدا ولن يرونا، ثم في آخر سماء سندخل في بعد الذرات وسنخرج من المجال الزمني نهائيا ولن نستطيع

الخروج من هناك أبدا في هذه الحالة، وليس هذا فقط، بل إننا إذا صعدنا إلىٰ سماء أعلىٰ لن تكون بشرتنا قادرة علىٰ تحمل أشعة الشمس، لأننا مع كل سماء نقترب منها أكثر وأكثر، فلذلك يجب علينا أن نكبر حتىٰ نكمل طريقنا دون أن نشعر باختلاف الأحجام والزمن بين كل سماء وأخرىٰ، ويجب أن نكتسب خواصًا جديدة تساعدنا علىٰ التأقلم مع ظروف كل سماء.

قال آسر: يا للهول!، لم تخبرني من قبل بهذه المعلومة،

قال له: كل شيء تتعلمه في وقته، هذا أفضل لك.

السماء الخامسة

بعد دخولهما مجال السماء الخامسة بنفس الطريقة التي دخلا بها السماء السابقة عن طريق الجحور السفلية للأسماك، أصبحا داخل مسطح مائي هائل من جديد، وكأن المشاهد لا تفعل شيئًا سوىٰ أنها تتكرر، ولكن هذه المرة كانت هناك مراكب للصيد منتشرة في المحيط، وهذه المراكب تظهر وكأنها أسطول بحري كبير للغاية، لأن أحجام أحرف هذه السماء ضعف السماء السابقة لها، وكان من المستحيل أن يعبرا هذا المحيط بهذا الحجم الصغير، ومن المستحيل أن يدخلا إلىٰ أحد هذه المراكب

المخصصة للصيد، لأنها تظهر لهما وكأنها سفن عملاقة للغاية، وكان يجب أن يفكرا في طريقة ما تمكنهما من الخروج من هناك وإلا ظلا هناك للأبد.

قال آسر للقاف: ما رأيك أن ندخل إلىٰ مصيدة الأسماك؟ وقتها سنستطيع الخروج من هنا. ولم يكمل ما قال حتىٰ جاءت من خلفه سمكة عملاقة للغاية هدفها أن تنقض عليهما وتأكلهما، فصرخ القاف قائلًا لآسر: اسبح بسرعة. ولكن آسر لم يفهم لم؟ والتفت خلفه ليجد فم سمكة كبيرة للغاية وقد التقمته في الحال.

هرع القاف جريا داخل الماء خوفا من أن تلتقمه أيضا، لكن السمكة استدارت، وفي أثناء استدارتها لمح القاف ذيلها وقد قطع منه جزء، وقال الحمد لله إن بها علامة مميزة يمكن أن أميزها بها وهو ذيلها المقطوع.

وبدأ يسبح خلفها في هدوء ليحاول إنقاذ صديقه الصغير، لم يكن يعلم القاف كيف سينقذه، ولكن لا يستطيع أن يستسلم بهذه السهولة، ولكن السمكة اختفت ولم يجدها وبحث عنها في كل مكان ولكن دون جدوىٰ، وما كان منه إلا أن بدأ بالبكاء علىٰ فقد صديقه آسر، وأدرك وقتها أن رحلتهم إلىٰ السطح قد انتهت قبل أن تبلغ نصفها حتىٰ، وقرر أن يعود

أدراجه، فلا فائدة من رحلة حرف إلىٰ عالم الحروف، لن يستفيد منها أحد، ولكن رحلة بشري صغير مازال في مقتبل العمر بيده أن يغير العالم بأسره إذا تعلم بصدق، و في هذه الحالة فقد القاف الأمل الوحيد لديه وقرر الرحيل.

بدأ السباحة في هدوء وانكسار، وفي أثناء سباحته كانت إحدىٰ هذه المراكب تخرج أقفاص الصيد من الماء، فعلق في حبالها ولم يستطيع أن يفلت منها، وأيقن وقتها أن نهايته هو أيضا قد حانت، واليأس قد ملأ قلبه أكثر وأكثر، ورفع مع الأقفاص والحبال، حتىٰ وصل إلىٰ سطح المركب، فوجد الكثير من حروف الصاد المشتغلين علىٰ عملية الصيد، وأحجامهم كبيرة للغاية وهو بالنسبة لهم حجمه مثل حجم الصرصور، فلاحظ أحد هؤلاء الصيادين أن هناك شيئًا صغيرًا عالق بالحبال، فاقترب منه وبدأ بالتدقيق فيه بتمعن، فأشار القاف للصاد وطلب منه أن يقوم بفكه، ثم لاحظ أن السمكة التي قامت بالتقام صديقه موجودة علىٰ سطح المركب ملقاة في الزاوية، لابد أنه تم اصطيادها هي الأخرىٰ، فطلب من الصاد أن يفكه بسرعة، ولكن العملاق لا يسمع شيئًا علىٰ الإطلاق لأن صوت القاف أصبح غير مسموع البتة بسبب حجمه الصغير، ولكن الصاد بادر بفكه وحمله علىٰ يديه ونزل به داخل غرفة المركب السفلية،

ووجه نحوه عدسة مكبرة وكشافًا للضوء حتىٰ يراه بإمعان، ولم يصدق أن هناك حرف قاف بهذا الحجم، وقال له الصاد بصوت بطئ للغاية: هل تتحدث؟ فأجابه بنعم وهو يشير إليه، فوجه الصاد أذنيه له وقال: لا أسمعك.

فلاحظ القاف علىٰ الطاولة التي يقف عليها أن هناك خارطة وأقلامًا وأوراقًا، فجرىٰ نحو القلم ليكتب له، فأمسك القلم بصعوبة، وكتب له أن معه صديقًا آخر صغير قد التقمته سمكة موجودة الآن علىٰ المركب وبذيلها جزء مقطوع، وطلب منه أن ينقذ صديقه، فتناول الصاد الورقة وبدأ بالقراءة، وفهم ما كتب له، وأخذ القاف ووضعه في جيبه وصعد إلىٰ السطح، وبدأ يبحث عن تلك السمكة، سألته بقية حروف الصاد علىٰ سطح المركب عما يبحث، أخبرهم بأنه يوجد عل سطح المركب سمكة تم اصطيادها منذ قليل ذيلها مقطوع، وهو يريدها علىٰ وجه السرعة، فالجميع تساءل عن السبب، فقال لهم لا وقت للحديث هيا فليبحث عنها الجميع سريعا، الأمر ضروري.

وبالفعل كل من علىٰ سطح مركبة الصيد بدأوا بالبحث عن تلك السمكة، إلىٰ أن وجدها أحدهم، قال: لقد وجدتها هذه هي. فاتجه إليه علىٰ وجه

السرعة وأخذها من يده، ونزل إلىٰ الغرفة بالأسفل مسرعا وأغلق خلفه الباب، والجميع وقفوا يتساءلون عما يحدث، ولكن سرعان ما عادوا إلىٰ عملهم وتركوه.

وما إن أغلق الصاد الصياد الباب حتىٰ أخرج القاف من جيبه، وقام بإلقاء كل شيء من علىٰ الطاولة، ووضع السمكة عليها، وأخرج سكينًا من جيبه، وقام بشق بطن السمكة بلطف ولم يغرسها بقوة حتىٰ لا يصاب الصغير بداخلها بأي أذىٰ، و أخرج أحشاء السمكة، ثم شق معدتها بلطف، وأخرج الصغير معه، وأسرع القاف جاريا بضم آسر صديقة الصغير، ولم يكن علىٰ وجه آسر أي علامات للخوف، ولكنه كان متسخًا للغاية ورائحته سيئة جدا، وكان يبتسم، وقال للقاف أنا سعيد كوني تمكنت من أن أراك مجددًا. وكان القاف يبكي وقال له: لماذا تبكي؟

قال: ظننت أني لن أراك مجددًا، ولكن ما لا أفهمه أنك تضحك... لماذا تضحك؟ ألم تكن خائفًا؟ قال آسر: علىٰ الإطلاق، عندما جلست بداخلها أخرجت مصباحي الصغير ومخطوط السماء السادسة وجلست لقراءتها، ويا لها من معلومات يا صديقي قد تعلمتها، وأنا كنت علىٰ يقين من أنك ستخرجني من هناك لذلك لم أخف أبدا، وأنا أعلم أن هذا الزي

الفولاذي الذي أرتديه لن يجعلني أهضم في بطن السمكة، فأنا كنت سأخرج من هناك عاجلا أم آجلا فلم القلق!

قال القاف: أنت شجاع للغاية. فاقترب الصاد برأسه محاولا أن يسمع حديثهم، ولديه رغبة في أن يعلم ما هو جنس هذا الكائن العجيب، فهمس آسر للقاف وقال له: من يكون هذا؟ قال له: إنه أحد الصيادين، لقد أنقذك، فشكره آسر، فقال له القاف: هو لن يسمعك أبدًا، قال له آسر: وكيف تمكنت من التواصل معه وهو لا يستطيع سماعك، قال: كتبت له علىٰ الأوراق، فقال آسر: أين هي حتىٰ أكتب له، فقال له القاف: هي ملقاة هناك علىٰ الأرض، نظر إليها آسر ليجد المسافة بعيدة للغاية، وكأنه يقف فوق إحدىٰ البنايات، فوقف آسر وهو يشير بيديه للصاد علىٰ الأوراق التي علىٰ الأرض، ففهم العملاق أنه يريد الكتابة له، فالتقط الأوراق والقلم ووضعهم بجواره، وقال له ببطء: اكتب كل ما تريد، لاحظ آسر أن لغته فصيحة للغاية حتىٰ أنها أفصح وأقوىٰ وأضبط في مخارجها عن السماء السادسة.

كتب له آسر: شكرًا جزيلا علىٰ إنقاذك لي، فسأله الصاد ما هو جنسك؟ فكتب له أنا بشري أتيت من عالم البشر. ظهر علىٰ الصاد علامات التعجب وقال: أنا لم أسمع مسبقا عن عالم البشر، أين يقع هذا العالم؟

فكتب له: أتيت منه إلىٰ عالمكم عبر بوابة سحرية، حيث إن عالم البشر في مكان بعيد للغاية، وصديقي القاف من عالمكم.

سأله الصاد عما يريدان تحديدا؟ وما السبب الذي جاء بهما إلىٰ هنا؟ فكتب آسر: أتينا إلىٰ هنا للتعلم ونقل خبراتكم للبشر، لأن في عالمنا توجد الكثير من المشكلات التي يجب أن تحل علىٰ وجه السرعة وإلا سيهلك الكثير في عالمنا. فقال الصاد: وكيف يمكنني أن أساعدكم، كتب له: أن تأخذنا إلىٰ منطقة الطواف في سمائكم.

فقال لهما: لا يمكنني أن أترك المحيط وأذهب لأي مكان، فأقصىٰ مكان يمكنني أن أذهب إليه هو الشاطئ، ولا يمكنني مغادرته إلا بعد أخذ تصريح للخروج، وهذا التصريح سوف يتطلب وقتًا، وإن كنتما علىٰ عجلة من أمركما سوف آخذكما في قارب صغير علىٰ سواحل المحيط وأرشدكما إلىٰ الاتجاه الصحيح، ولكن أكثر من هذا لا يمكنني أن أفعل شيئًا، كتب له آسر أنه موافق، وسأله متىٰ يمكننا أن نتحرك؟ فقال له

الصاد: نتحرك علىٰ الفور، ولكن أولا يجب أن ننظفك، لا يمكن أن تذهب إلىٰ نقطة الطواف وأنت متسخ بهذا الشكل، فجاء الصاد بكوب ماء وسكبه علىٰ آسر فعاد نظيفا.

اقترب منه القاف وقال له وهو يضع يديه علىٰ أنفه: ما زالت رائحتك مقززة. فضحك آسر والقاف كثيرا، ثم قال الصاد: هناك فكرة أخرىٰ ستساعدكم علىٰ الوصول أسرع. فأمسك القاف القلم وكتب له: ما هي؟ قال: أن أصنع لكم منطادا صغيرًا، فقال القاف متعجبا: منطاد. فقال له آسر: يا صديقي إنها فكرة رائعة للغاية، خصوصا أن آلية عمل المنطاد سهلة للغاية من الممكن أن يصنعه أي أحد، فقال القاف: أنا لا أعلم أي تفاصيل عنه.

قال له آسر: لقد قرأت عنه في الموسوعة المصورة من قبل، وصنعت واحدا صغيرا أنا وأمي بالمنزل، واستخدمنا مجفف الشعر الخاص بأمي حتىٰ نبقي الهواء ساخنًا، فقال له القاف: ولم الهواء الساخن؟

قال له آسر: المنطاد فكرته كلها تكمن في الهواء الساخن والهواء البارد، إذا أردت أن يعلو بك المنطاد ما عليك إلا أن تسخن الهواء بداخله، وإذا أردت أن يهبط بك في هدوء عليك أن تبرد الهواء، هذا كل ما في الأمر،

فكرته بسيطة وسهلة ويمكننا استخدامه للوصول إلىٰ نقطة الطواف. فأمسك آسر القلم من القاف وكتب للصاد: إنها فكرة رائعة هيا نبدأ بالتنفيذ.

كل ما تم استخدامه في بناء المنطاد هي أدوات أولية للغاية، حيث صنعوا مروحيتين سفليتين صغيرتين وظيفتهما توجيه المروحية لليمين واليسار، وجعلوها تعمل بشكل يدوي وجعلوا به مقعدين، مقعد علىٰ اليمين واليسار، وأمام كل مقعد بدال يدوي يحرك المروحية، فإذا أرادا أن يتوجها إلىٰ الأمام يعملان علىٰ تحريك المروحتين، وإذا أرادا التوجه لليسار يوقفان حركة المروحة في جهة اليسار ويحركان الأخرىٰ في جهة اليمين، والعكس صحيح، وبالطبع البالون يساعدهما في الصعود والهبوط، وملئوا البالون بالهواء، ووضعوا أسفله جهازًا بدائيًا يتحكم بالحرارة، الآن أصبح لديهما وسيلة للتنقل دون أي عناء ويمكنهما استخدامه بسهولة ليصلا إلىٰ وجهتهما.

ساعدهم الصاد بكل ما لديه من إمكانيات، وصعد بهم فوق سطح المركب وقام بإطلاقهما في الهواء الطلق، كل من علىٰ المركب شاهدوا زميلهم وهو يقوم بإطلاق المنطاد، ولم يفهم أحد ما الذي يحدث

بالتحديد، وكان الصاد يشير للمنطاد بيديه، وكل من علىٰ المركبة ظن أنه جن، ولكنه لم يأبه بنظرات أحد، وشعر أن ما فعله كان هو الصواب.

ظل آسر والقاف محلقين فوق المحيط لوقت طويل للغاية، حتىٰ شعرا أنه لا نهاية له، ولكن كان آسر لديه قناعة خاصة أن كل شيء بالكون له بداية ونهاية، وإن كان الكون له بداية ونهاية، فلا بد أن كل ما بداخله أيضا له بداية ونهاية، لقد أصيب كلاهما بالتعب الشديد والجوع، لأن تحريك هذا المنطاد يدويا وسط مقاومة الرياح، أمر مرهق للغاية.

سأل آسر القاف: كيف يمكننا الحصول علىٰ الغذاء؟ قال له: فور وصولنا لليابسة يمكننا أن نهبط فوق أحد الأشجار، ونتناول قدر ما نشاء، ولو شئنا تزودنا ببعض الغذاء لأجل الطريق. قال له آسر: أتشوق لمعرفة لون الأشجار في هذه السماء، قال له القاف: فور وصولنا سوف تعلم.

ظهرت اليابسة، وشعرا بالراحة لرؤيتها، وزادت العزيمة للوصول إليها، فالهدف أصبح أقرب، وما إن وصلا، رأىٰ آسر الأشجار وتعجب من لونها، حيث إن لونها كان أزرقًا صريحًا صافيًا، شكلها من الأعلىٰ بديع للغاية، اقترح القاف أن يهبطا بالمنطاد فوق أحد الأشجار حتىٰ يتناولا من بعض فاكهتها، ويأخذا معهما في طريقهما بعضًا منها، هبطا

بمنطادهما فوق إحدىٰ الفواكه المعلقة بأغصان الشجرة، فحجم الفاكهة الواحدة تقريبا أكبر من حجم المنطاد الذي يركبانه، وما إن ترجلا من المنطاد وعملا علىٰ إحكام ربطه حتىٰ لا يتحرك من مكانه، وقفا عاجزين عن الأكل؛ فغلاف الفاكهة سميك للغاية بالنسبة لحجمهما الصغير، فوقفا يفكران في حل يمكنهما من تناولها، وأثناء ما كان آسر يفكر، كان يتجول فوق الثمرة، حتىٰ أصبح يقف عليها بشكل أفقي دون أن يقع من عليها، وهو لا يلحظ الأمر، فقال له القاف ما هذا كيف فعلتها؟ قال آسر: عن أي شيء تتحدث؟ قال له أسألك كيف استطعت أن تقف هكذا دون أن تقع؟ فالتفت آسر للأمر وانبهر مما حدث، يمكنه السير علىٰ الأشياء رأسا علىٰ عقب دون أن يقع، وقال للقاف: الآن فهمت كيف للصرصور أن يسير علىٰ الجدران دون أن يسقط من عليها، قال له القاف وكيف ذلك؟ قال له آسر: إنه انجذاب الذرات؛ فالجدار بالنسبة له يمثل مصدر جذب مثل الجاذبية الأرضية تماما لأن وزنه صغير وذرات جسده تتجاذب مع ذرات أي جسم أكبر منه، الأمر لا يتعلق بالجاذبية الأرضية، وإنما يتعلق بجاذبية الأجسام الأكبر كثافة للأجسام الأقل كثافة منها... أتعلم ما معنىٰ هذا؟

قال له القاف: ماذا؟ أجابه آسر: إننا بهذا الشكل يمكننا السير علىٰ الشجرة حتىٰ نصل إلىٰ فوهتها ونتناول من سائلها قدر ما نشاء حتىٰ تمتلئ معدتنا.

وبالفعل بدآ بالترجل علىٰ جذوع الشجرة وهما في منتهىٰ السعادة لهذا الشعور الجديد والمميز للغاية، إلىٰ أن وصلا إلىٰ الفوهة ودخلا إليها، وتناولا سائلها، وكان طعمه ألذ ما يكون، لقد كان أفضل من كل الفواكه التي تناولاها قبل هذا الوقت، ونظر آسر للقاف، وما كان منه إلا أن انفجر ضحكا، وقال له: أنت مثل الوعاء الشفاف الذي إذا سكب فيه شيء يأخذ لونه، لقد أصبح لونك أزرقًا هذه المرة.

ما إن انتهيا من تناول الغذاء، حتىٰ صعدا مجددا للأعلىٰ حتىٰ يركبا المنطاد، واتجها في طريقهما حتىٰ نقطة المنتصف، نظر آسر للأرض من أعلىٰ، كل شيء يسير ببطء شديد، حتىٰ السيارات كذلك، وبمرورهما بجوار ميدان كبير وجدا ساعة معلقة، عدد الساعات فيها ست وتسعون ساعة، قال آسر: يا للهول! كيف يمكنهم العيش في هذا البطء؟ ألا يشعرون بالملل، قال له القاف: يا صديقي شعورهم ليس علىٰ نحو

شعورك، فهم شعورهم طبيعي للغاية بالنسبة للوقت، وربما يشعرون بقصر يومهم، الأمر كله نسبة وتناسب يا صديقي، ليس إلا.

قال آسر للقاف: ألم تلحظ أن الصاد كان يتحدث بفصاحة أكثر من الحروف في السماء السابقة، ألم تلحظ أن كل شيء يزيد في رقيه كلما صعدنا، انظر كيف أن البيوت منظمة أكثر بكثير من السماوات السابقة، انظر يا صديقي إلىٰ جمال هذه السماء، كل شيء منظم حتىٰ أن الأشجار موضوعة بترتيب وتناسق، أنا متشوق كثيرا أن أستمع إلىٰ لغة أهل السماء الأولىٰ، وكيف يعيشون، وكلي شوق لأتعرف علىٰ أرقىٰ الألوان علىٰ الإطلاق وأكثرها نفعا وفائدة، كل شيء يزداد في رقيه ونفعه، عندما أعود إلىٰ أرض الناس، وعندما أكبر سأكون عالمًا أو طبيبًا أو مهندسًا أو تاجرًا أو صيادًا، في أي مهنة سأمتهنها سوف أبدع فيها بسبب ما تعلمته من عالمكم، وربما سأكتب كتابًا عن كل المهن وعظمة أرضكم، وربما يا صديقي لن أكون شيئًا سوىٰ كاتب، أتعلم لماذا سأكون كاتبًا؟ لأن مهنة الكاتب علىٰ وجه الخصوص هي المهنة الأسمىٰ علىٰ الإطلاق، فهو الإنسان الوحيد الذي يمكنه أن يعلم البشرية كلها بكلماته، ويترك أثرًا يمتد حتىٰ آخر الحياة، تتوارث الأجيال أثره جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن، دون أن يعفو علىٰ كتاباته ونتاجه الزمن ما دامت كتابته صادقة نابعة

من القلب، غرضها الإصلاح ونشر الخير، فإذا كنت كاتبًا سيتعلم مني الطبيب والمهندس والعالم والتاجر، وكل من يمتهن مهنة سيطلع علىٰ كلماتي إذا كتبتها بصدق، أشعر أني أريد أن أشرع في الكتابة من الآن، بداخلي معلومات ممزوجة بمشاعر كثيرة من كثرة تداخلها أشعر بارتباك شديد.

لقد قاطع هذا الحديث الصادق النابع من القلب منظرًا هو الأبدع والأجمل، منظرٌ قد خطف أبصارهما وقلوبهما، إنه بيت الطواف، ولكن هذه المرة منظره يقطع الأنفاس من ضخامته وجماله، فالبيت مرصع بأحجار لامعة سوداء، والحروف تطوف وهم سكارىٰ في حب خالقهم، فتيقن آسر أن حتىٰ الوازع الديني والتعلق بالخالق يزداد كلما اقتربت السماء أكثر من السطح، فيا لها من معادلة بحاجة إلىٰ تفكير عميق وفهم أعمق.

سأل القاف آسرًا: هل تعلم عدد مرات الطوف هنا؟ قال له آسر: إذا جعلتني أستنتج الأمر سأقول لابد أنها خمس مرات لأن السماء السابعة كانت سبع مرات والسادسة كانت ست مرات، فبالتأكيد الخامسة ستكون كذلك. قال له أحسنت يا صديقي في استنتاجك، ولكن هناك سؤال أهم

يجب أن تفكر فيه، وليس شرطًا أن تخبرني بإجابته الآن. فقال له آسر ما هو؟

قال له: لم عدد مرات الطواف مرتبطة بمرتبة السماء التي تنتمي إليها؟ قال آسر: يا له من سؤال في غاية الصعوبة! ولكن سأفكر في الجواب وأخبرك به فور معرفتي، قال له القاف: أنا يا صديقي واثق تماما من أنك ستجد الجواب الصحيح.

قال القاف: هيا سنهبط فوق البيت، ومن ثم ندخل إلىٰ هناك.

بدأت عملية الهبوط، وما إن هبطا وترجلا فوق بيت الطواف طلب القاف من آسر أن يقف في ثبات حتىٰ يحتويه ويختفي ويدخل إلىٰ داخل البيت ومنه يدخلان إلىٰ البوابة التي تؤدي إلىٰ أنبوب اللام ليتجها إلىٰ السماء التالية.

دخلا إلىٰ خلف باب بيت الطواف، ونزلا الدرج وسارا فوق السطح في اتجاه الغرب وصولا لأنبوب اللام، قال القاف لآسر: هل أنت مستعد لخوض تجربة جديدة؟ أجابه آسر: بالطبع مستعد، أنا متشوق كثيرا لهذه الخطوة، أمسك القاف بيد آسر وقفزا داخل الأنبوب، وهما يطلقان

صرخات مدوية يتردد صداها إلىٰ داخل الأنبوب، وما إن وصلا إلىٰ قاع اللام لم يصطدما به بل كانت هناك قوة سحب عالية سحبتهم لأعلىٰ إلىٰ أن وصلا صعودا إلىٰ السماء الرابعة، وكأنه مصعد يسير بمقدار سرعة الضوء، ووقعا علىٰ الأرض، وقف آسر في الحال ونظر للقاف وقال له: ما هذا يا صديقي لقد أصبح لونك أخضر، فقال له القاف تتحدث عن لوني؟ انظر إلىٰ نفسك، فقال له ولم أنظر لنفسي؟ فنظر لانعكاس صورته علىٰ سطح البلورة الثلجية، ليجد أن هناك همزة خضراء اللون تنظر له من خلال سطح الماء، فقال للقاف: انظر هناك همزة تنظر إلي من خلف السطح، قال له القاف وهو يضحك: ليس هناك همزة بل هذا انعكاس صورتك أنت يا صديقي، لقد تحولت لهمزة لطيفة للغاية، فقال له آسر يا إلهي كيف حدث هذا؟!، قال له: هذا أمر طبيعي فالأنبوب وظيفته تغيير خواص الأجسام الداخلة فيه حتىٰ تتناسب مع السماء المتجهة إليها.

قاطعه آسر قائلا: ألم تقل لي إن السير بداخل الأنبوب سيأخذ وقتا كبيرًا جدا؟ ومع ذلك لم يستغرق الأمر بضع لحظات.

قال له القاف: كنت مخطئًا في تقديري للأمر، ولكن بعد التجربة أصبحت الأمور أوضح من ذي قبل، قال آسر معك حق، التجربة خير دليل، وأكثر

ما يسعدني أننا سنسير بأريحية ولن يتعجب من مظهرنا أحد، سنتجول بحرية أكثر.

السماء الرابعة

خرجا من باب بيت الطواف فوجدا البيت فارغًا تماما من المعتمرين الزائرين، لم يجدا حرفًا واحدًا هناك، فتعجب آسر والقاف من هذا الخلاء التام، وطلب آسر لأول مرة أن يجرب شعور الطواف، وبدآ بالطواف وهما يرددان جملة التلبية في خشوع وسكينة، تلك الجملة التي سمعاها في جميع السموات، وكانت لا تتغير، وتردد علىٰ نفس النحو دائما، حتىٰ انتهيا من الطواف وقد طافا أربع مرات، فعدد مرات الطواف في السماء الرابعة أربعة فقط، فقال له آسر: وهل أعبد خالقي أم خالق الحروف، فأجابه القاف خالقنا هو خالقكم، وكانت هذه المعلومة جديدة عليه تماما، وسارا في طريقهما خارج بيت الطواف أملا في أن يلتقيا بأحد الحروف فيكون لهما عونا ومرشدا في سمائه، ولكن الطرقات فارغة وكأنها صحراء جرداء، لا أحد، لا سيارات تسير وكأن الحياة قد انتهت في هذه السماء، فسأل آسر القاف: ما الأمر يا صديقي؟ ما الذي يحدث هنا؟ قال له القاف: لا أعلم، تعال لنتجول أكثر ربما نفهم ما يحدث هنا.

وسارا، وعلىٰ طول الطريق المنازل كلها محكمة الغلق وعليها أقفال كبيرة، والسيارات واقفة في كل مكان وفارغة من الحروف، ولاحظ آسر أن الأشجار غير مثمرة، وجوفها جاف ليس بداخله سائل، وكانت المفاجأة بالنسبة لهما أن جاءت مدرعة كبيرة تسير ببطء، ثم وقفت أمامهما، وخرج صوت من أحد مكبرات صوت المدرعة تأمرهم بتسليم أنفسهما، لكنهما لم يتوقفا، وهرع القاف وآسر جريا في عكس اتجاه المدرعة، فانطلقت عليهما أجسام صغيرة وكأنها رصاص، واخترقتهما فسقطا أرضا واسودت الرؤيا.

المشفىٰ

فتح آسر عينيه ليجد نفسه علىٰ سرير في غرفة مزدحمة بالأسرة، وتوجد الكثير من الحروف الممددة فوقها، وهناك حروف دال واقفة في كل مكان، ففهم أنه مشفىٰ فىٰ سمائهم، وكانت طرق التداوي لديهم عجيبة حيث إنهم لا يستخدمون معدات طبية، ولكن إذا أراد الطبيب (الدال) أن يسحب عينة دم من أحد المرضىٰ يستخدم حشرة كبيرة حجمها في حجم راحة يد طفل صغير تشبه البعوضة، ويأمرها بسحب عينة دم من المكان الذي يشير لها عليه، وهي تفعل استجابة لأوامره، ثم تفرغ الدماء في أحد أنابيب الفحص الطبي، وتعود لتسحب بإبرتها سائلًا أخضر اللون بداخله

وتعيد إفراغه في بالوعة في طرف الغرفة، وكأنها تعقم جوفها، وتعود البعوضة للطبيب مرة أخرىٰ، تطير بجواره لتكرر العملية مع حروف أخرىٰ، وكان أحد الحروف بداخله جرح غائر، فجاءت حشرة تشبه الخنفساء حجمها نفس حجم البعوضة الماصة لعينات الدم، واقتربت من الجرح وأخرجت مادة لزجة من بطنها فوق الجرح ومن ثم جاء عنكبوت كبير الحجم وقام بتغطية الجرح بخيوطه، ومن ثم تأتي نحلة كبيرة الحجم أيضا وتفرغ عسلها فوق جرحه هذا، وتفعل هذا الحشرات جميع الأمور علىٰ ترتيب دقيق دون توجيه من أي طبيب موجود في المكان، وكأن الحشرات مدربة علىٰ العمل الجماعي، وكل منهم تعلم وظيفتها جيدا وتفعلها علىٰ أكمل وجه.

وقف آسر يتجول ليرىٰ من عجائب الطب في هذه السماء التي تعتمد علىٰ الطبيعة بشكل كبير، ولا تستعين بالصناعي منها أبدا، وكل ما رآه قد أنساه تماما صديقه القاف، لكنه تذكر أمره وبدأ بالبحث عنه وسط النائمين علىٰ الأسرة، ربما يكون وسط الموجودين في نفس الغرفة، وسار وهو يبحث عنه فسمع صوتًا ينادي عليه من أقصىٰ الغرفة، فنظر ليجد صديقه القاف، فجرىٰ علية وقال له: الحمد لله لقد وجدتك، أين نحن الآن؟ أنا لا أفهم علىٰ الإطلاق الذي يحدث هنا، قال له القاف هذا مشفىٰ يا

صديقي لا تقلق لابد أنهم نقلونا إلىٰ هنا بعد إصابتنا، فتذكر آسر الأمر، ونظر لمكان الإصابة لكنه لم يجد شيئًا، فقال له: ليس هناك إصابة علىٰ الإطلاق، قال له: لا بد أنك شفيت، قال له آسر متعجبا: بهذه السرعة؟!، فأجابه القاف: وهل تعلم كم مكثنا من الوقت هنا؟ انتظر حتىٰ نعلم منذ متىٰ ونحن هنا، فنادىٰ القاف علىٰ أحد الأطباء، فأجابه وقال له: أخيرا استعدت وعيك!، وكان الطبيب يتحدث لغة عربية فصيحة جدا أفصح من لغة السماء الخامسة أيضا، فأجابه القاف: الحمد لله أنا بخير، ولكن أريد أن أعلم لم جئت إلىٰ هنا، وكم من الوقت قد قضيت؟

قال له الطبيب: لهجتك غريبة عنا كثيرًا، من أين أنت، قال له القاف مترددًا في كلماته لا أتذكر شيئًا، فقال له الطبيب لا عليك، أنت جئت إلىٰ هنا بعد تلقيك لرصاص من مسؤولي الحظر وحفظ الأمن، فقال له: حظر لم؟ ومما يحفظوننا، قال له الطبيب: هناك وباء ضرب أرضنا من سنة وماتت الكثير من الحروف بسبب الاختلاط الذي يحدث بينهم، فأطلق قانون دولي بحظر تجوال الحروف حظرا كاملا علىٰ مدار المائة واثنين وتسعين ساعة في اليوم، فتدخل آسر في الحديث قائلا مائة واثنان وتسعون ساعة في اليوم الواحد، فالتفت الطبيب إليه: وما العجيب فيما أقول؟ فقال القاف: لا عليك يا طبيب ولكن أريد أن أفهم ما سبب

الوباء؟ قال: القحط ملأ البلاد؛ فلم يعد هناك شجر مثمر، وسائل الداء من الشجر أيضا انقطع، فانقطع سبل العلاج في أرضنا من الأوبئة، فقاطعة آسر: مرة أخرىٰ ليس اسمه سائل الدواء، فقال له الطبيب ماذا بك؟ لم تتعجب من كل شيء أقوله، إنها أمور يعلمها الطفل الصغير حتىٰ، فاعتذر القاف بالنيابة عنه، وأعاد سؤاله عن سبب الانقطاع، قال له الطبيب: إنه أمر يحدث كل مائة عام، ويظل القحط والوباء أربعة أعوام، ثم تثمر الشجرة من جديد، فنعمد إلىٰ تخزين الفاكهة للظروف المشابهة لهذه، ولكن للأسف السائل يفسد بعد يوم واحد من خروجه من الشجرة، ولا يظل صالحا لوقت طويل.

فقال له آسر: ولمَ لم يفكر أحد في طريقة لحفظ السائل، وطريقة لزراعة أشجار جديدة ترعىٰ بشكل خاص حتىٰ لا تتوقف عن الإثمار وإنتاج السائل؟ فقال له الطبيب: هناك متخصصون يبحثون في هذا الأمر من زمن طويل ولم يتوصل أحد لشيء حتىٰ الآن. فقال له: فهمت.

فسأله القاف: متىٰ يمكننا الخروج؟ قال لهما: يمكنكما الخروج الآن إذا كنتما تشعران أنكما بخير، فأجابا في نفس ذات الوقت نحن بخير، واستأذن الطبيب ورحل.

سأل آسر صديقه: كيف يمكننا التجول في هذه السماء والتعرف عليها وعلىٰ معالمها وقد فرض حظر التجوال هنا، ثم قال له: أليس بإمكانك الاختفاء يا صديقي، والتجول دون أن يراك أحد؟ قال له القاف: أنا أشعر ببعض التوعك، لذلك لن أتمكن من فعل الكثير من الأمور المعتاد علىٰ فعلها، هكذا نحن الحروف إذا أصابتنا علة نعجز عن أداء وظائفنا بشكل جيد، ضحك آسر: وكذلك نحن البشر، والذي يضحك فعلا الآن أني لم أعد بشريا، وضحك آسر وصديقه القاف، ولاحظا أن هناك حروف سين كثيرة قد دخلت الغرفة وبدأت بتوزيع أطباق الطعام والماء علىٰ المرضىٰ، وكان الطعام عبارة عن أطباق بها فاكهة مقطعة لونها أخضر لامعة للغاية وكأنها زمردة خضراء، وهنا قد فهم لما قد تحول لون القاف للأخضر، وهو أيضا لونه أخضر.

وما إن تسلما الأطباق حتىٰ بدآ بتناول الطعام وشرب الماء علىٰ الفور، فنظر لهما كل من الغرفة نظرات متعجبة من سلوكهما، وبدآ يسمعان تساؤلات من حولهم: كيف لهذين أن يأكلا قبل حلول وقت الإفطار، ففهم آسر والقاف أنه قد حان وقت شهر الصيام في هذه السماء، وما إن أطلق الأذان حتىٰ بدأ الكل في تناول طعامه، وكانت هذه المرة الأولىٰ التي يستمع فيها آسر إلىٰ نداء الصلاة في إحدىٰ السماوات.

وما إن تناولا طعامهما قال القاف لآسر، هل تشعر أنك بخير، قال له: أنا بخير، قال له: إذًا علينا الخروج من هنا في أسرع وقت حتىٰ نكمل طريقنا، فأجابه آسر: إننا لن نتمكن من الوصول لمنطقة الطواف مرة أخرىٰ، فما هو الحل حيال هذا الأمر؟ قال له القاف: لا عليك سنجد حلا.

طلب القاف من آسر أن يسير خلفه في هدوء، وألا يلتفت حوله حتىٰ لا يلفت الأنظار لهم، وخرج القاف من غرفة المرضىٰ وخرج خلفه آسر بعد أن التقط حقيبته من جانب الفراش، ووقف ليبحث بعينه عن مكان الدرج، فوجد لافتة تشير إلىٰ مكان الدرج، فسار باتجاهها حتىٰ وصل للدرج وبدآ بالصعود، طابق يلي طابقًا آخر، وكان آسر يتساءل في مكنون نفسه عن سبب الصعود لأعلىٰ بما أنهم بحاجة إلىٰ الخروج وليس للصعود والتوغل أكثر في البناء، ولكنه لم يسأل وانتظر حتىٰ يفهم ما يحدث، إلىٰ أن وصلا إلىٰ سطح المبنىٰ، فقال آسر للقاف: ماذا نفعل هنا يا صديقي؟ أنا لا أفهم شيئًا علىٰ الإطلاق، فقال له: سنتجه صعودًا إلىٰ الغلاف، حتىٰ نستمر في رحلتنا إلىٰ السماء التالية، فقال له آسر كيف ونحن لا نمتلك مركبة تحملنا؟ وأنا حتىٰ لا أرتدي لباسًا يقي من ضغط الماء، فأجابه القاف: أن لا عليه، فهو الآن حر ويمكنه أن يتحمل الضغط دون أن يصاب بمكروه علىٰ الإطلاق.

وقال له: أما بالنسبة لطريقة صعودنا، فأنت يا صغير من سيجعلنا نصعد إلىٰ هناك، فأجابه وهو متعجب: أنا! كيف؟ فقال له أنت الآن همزة، والهمزة لديها قوة انفجارية تساعد علىٰ التحليق مثل الصاروخ تمامًا، قال آسر حقا، ولكني أجهل طريقة عمل هذه القوة، قال له لا عليك سوف أعلمك طريقة استخدام قواك، فأجابه أنه مستعد لتعلم كل شيء.

وقف القاف أمام آسر، وأمسك بيديه، وسأله: جاهز؟ قال: أنا كذلك، خذ نفسًا عميقا واحبسه بداخلك، انحني للأمام قليلا، تشبث بيدي بقوة، أخرج أنفاسك بقوة، وهيا انطلق، فانطلقا انطلاقا يكاد يفوق في سرعته سرعة الصاروخ، وما كان من آسر إلا أن أطلاق ضحكات حماسية للغاية، واخترق طبقات الهواء بقوة، واخترق الغيوم وصولا للغلاف، وما إن وصلا حتىٰ تولىٰ ثباتهما القاف، ودخلا عبر باب غلاف النون الأول.

المشاهد تتكرر، إنه نفس السقف العظيم، ونفس المتاهات، باب بعد باب، وصولا للباب الرابع، وقفا وتأهبا لدخول الماء بعد فتحه؛ فهذه السماء لها أربعة أبواب فقط.

ليلة القدر في السماء الرابعة

فتح القاف الباب الرابع ودخل الماء إلىٰ أن امتلأت الغرفة بالماء تماما، وخرج كلاهما في هدوء، وبدآ السباحة للسماء التالية، وما إن بدآ السباحة حتىٰ بدأت النجوم كلها تتساقط الواحدة تلو الأخرىٰ، وكل نجمة تسقط تصنع دوامة هائلة تكنس في طريقها كل شيء، قال القاف للهمزة إن لم تنطلق بنا مثل الصاروخ الآن سننجرف إلىٰ أسفل القدر، قال له آسر: القدر؟!، قال له: نعم، إنها ليلة القدر في هذه السماء وفي هذا اليوم الشجرة تتساقط جميع نجومها وتصنع دوامات هائلة تكنس بها السماء من أولها لآخرها، وتكون في منتهىٰ النقاء، ويمتلئ القدر بالأسفل بكل هذه الشوائب، فقال آسر للقاف: تمسك بي وانطلق وصولا لغصون الشجرة في السماء الثالثة، وما إن نجيا من خطر محتوم، سأل آسر القاف قائلا: أنا أيضا لم أفهم لم تسمىٰ بليلة القدر، قال له القاف: يا صديقي، السماوات السبع كلها داخل قدر مستدير مثل الحلقة تماما، وسبب حلقة الفراغ بالمنتصف هو أنبوب اللام، لذلك عندما يكنس كل الكائنات والغبار، وكل شيء يذهب إلىٰ أسفل القدر تسمىٰ بليلة القدر لأن القدر يمتلئ ويزدحم بالأسفل، قال له آسر: إنها أعجب معلومة قد سمعتها في حياتي كلها، قال القاف: إنها ظاهر موسمية تحدث في شهر الصوم

الخاص بكل سماء، فتتوقف شجرة النجوم عن الإثمار لليلة كاملة، ثم تعود للإثمار من جديد في الليلة التي تليها.

محيط السماء الثالثة

في أثناء دخولهما إلىٰ الجحور التي سوف تقودهما إلىٰ محيط السماء الثالثة، قال آسر للقاف: أنا لا أصدق أننا قطعنا أكثر من نصف المسافة، ولم يتبق الكثير حتىٰ السطح، ومتشوق جدا لمشاهدة المزيد عن عالمكم، وما إن نطق هذه الجملة حتىٰ انفجر بركان من داخل قاع المحيط، وكل الكائنات أخذت تهرب من درجات الحرارة العالية للغاية التي أصابت الماء بسبب هذ الانفجار، وأخذ آسر والقاف بالسباحة إلىٰ أقصىٰ الغرب، هروبا من الخطر الذي أحدق بهم فجأة، إلىٰ أن وصلا إلىٰ اليابسة، ولكن هذه المرة اليابسة ثلجية، وسارا طويلا ولم يجدا أحدًا علىٰ الإطلاق إلىٰ أن وجدا بيت عملاقة للغاية يشبه القبة، والعجيب أنها مصنوعة من الثلج أيضا، فقال آسر للقاف كيف يمكنهم العيش في منازل ثلجية؟ ألا يشعرون بالبرد؟ قال القاف: يا صديقي هذه البيوت تعتمد علىٰ آلية تدفئة خاصة داخل البيت، قال له آسر: وما هي؟ قال تعتمد علىٰ الحرارة التي تبعثها أجسام الحروف المقيمة بها، إضافة إلىٰ مصدر حرارة خارجي وهي النيران، فقوة الجليد العازلة تمنع الحرارة داخل المنازل

من الخروج، أضف إلىٰ ذلك يا صديقي شكل المنازل؛ حيث إنها تصنع علىٰ شكل قبة كما ترىٰ، وشكل القبة هذا علىٰ الرغم من أنه بغير عمد كما أخبرتك سابقا، إلا أنه يبقىٰ مستقرا ومقاومًا لهبوب الرياح القوية.

فقال آسر: انا عندي فضول لأدخل أحد هذه المنازل لأراها من الداخل، قال له: لن نستطيع حتىٰ يأذن أحد أصحابها، ربما يمكننا أن نطرق أحد الأبواب ونطلب أن ننزل عندهم لبعض الوقت حتىٰ ننطلق في رحلتنا من جديد، فقال آسر هيا بنا إذا، وقفا أمام أحد المنازل وطرقا الباب بلطف، ولم يستجب أحد ولم يفتح الباب، فقال القاف ربما علينا أن نطرقه بقوة أكثر، وطرق الباب من جديد بقوة، ففتح الباب، وما كان بالحسبان أن الباب يفتح للخارج، ففتح الباب بقوة واصطدم بهما؛ فطارا بعيدا ووقعا وسط الثلوج، وخرج حرف زاي عملاق جدا يسأل من الطارق فلم يجد أحدًا يجيبه، فدخل وأغلق الباب من جديد، فقال آسر للقاف ما هذا الذي حدث، ضحك القاف وقال له: لا عليك، إنها سماء مليئة بالمفاجآت يا صديقي، فضحك الاثنان كثيرًا، ووقفا من جديد ونزعا الثلج من فوقهما، وعادا يطرقان الباب من جديد، ولكن هذه المرة طرقا الباب وجريا سريعا، وما إن فتح عملاق الزاي الباب؛ سأل بصوت مرتفع من الطارق، فلم يرَ أحدًا، وسمع صوتًا أتىٰ من الأسفل يقول: نحن، فنظر ليجد همزة

وقافًا قزمين أخضري اللون، علىٰ عكس اللون المعتاد لأهل هذه السماء؛ فعملاق الزاي لونه أصفر.

فقال العملاق لهما: من أنتما؟ قال القاف: نحن أتينا من بلد بعيد للغاية وبحاجة لنستريح من عناء الطريق، فإن أمكن أن ننزل عندك بعض الوقت لنعود ونكمل رحلتنا، فأفسح لهما المجال ودعاهم للدخول، وما إن دخلا حتىٰ ظهرت علىٰ ملامحهما علامات التعجب، فقد وجدا المنزل من الداخل قد صمم علىٰ شكل طبقات، فمن الواضح أن الطبقة العليا ينام فيها صاحب المنزل، والطبقة السفلية يستخدمها العملاق في إشعال النار، ويؤدي فيها الأنشطة المنزلية والطهي، من الواضح أن هذه النيران المشتعلة تعمل علىٰ تدفئة الهواء المحيط ليرتفع للأعلىٰ حيث الطبقة الثانية، همس القاف لآسر وقال له: هذا التصميم يسمح للأجزاء العلوية من المنزل بالبقاء دفئة، وأعتقد يا صديقي أن درجة الحرارة هنا عشرون درجة مئوية، كما أنه كلما زاد عدد الأفراد في المنزل ترتفع درجة الحرارة، علىٰ عكس الخارج فهي سالب خمسين، ألم تلحظ الفرق؟ قال له آسر بكل تأكيد، ولكن هذه معجزة معمارية، فقال القاف: هذه صور مصغرة من بناء السماوات، إنه إبداع الخالق يا صغيري قبل أن يكون إبداع المخلوقات.

كان العملاق يحدق بهما بشكل مستمر، ثم شرع بتجهيز الطعام لهما، فبدأ بشوي بعض الأسماك فوق النيران وقدمها لهما كواجب للضيافة، ولم يسألهما عن شيء علىٰ الإطلاق، ولم يكن فضوليا حول سبب مجيئهما لهذه الناحية، ولم يسألهما عن حجمهما الصغير هذا، هو لم يسأل عن شيء، وإنما كان يحدق في صمت، فتأكد كلاهما أنه غريب الاطوار، وسألاه: هل تتوافر لديك الفاكهة، فقال لهما: لا فالأشجار لا تنمو في هذه الناحية، وإنما نتغذىٰ علىٰ الأسماك فقط، وسألاه إن كان يعيش بمفرده، فقال لهما: نعم لم يدخل بيتي هذا أحد منذ سنوات طوال للغاية، سأل آسر العملاق: ما السبب يا ترىٰ؟ أخذ منهما أطباق الطعام، وقام ولم يجب عليهما، وأحضر لهما أكواب ماء، بدا لهما غريب الأطوار جدا، ولكن علامات الحزن واضحة عليه للغاية، وكان لديهما الفضول ليعلما ما قصته، همس آسر للقاف: ما رأيك أن نطلب منه أن يصطحبنا في جولة ربما يمكننا أن نخرجه مما هو فيه، فقال آسر مسرعا قبل أن يعلم رأي صديقه في الأمر: أيها الزاي، ما رأيك أن تصطحبنا في جولة حول أرضك؟ التفت له الزاي ثم استدار وذهب إلىٰ أحد أطراف المنزل دون أن يجيب عليه، قال آسر لصديقه: أنا لا أعلم ماذا به، هو لم يجب علي حتىٰ، ثم اقترب منهما، وأمسكهما بيديه ووضعهما خارج

المنزل وأقفل الباب، فأمسك القاف آسرًا من يديه ليسيرا بعيدا، ولكن رفض آسر الأمر، وأفلت يد صديقه، وذهب ليطرق الباب من جديد، وينادي: أيها العملاق افتح الباب حالا، ويطرق الباب ويكرر نداءه، حتىٰ عاد وفتح الباب، وقال له: ماذا تريد أيها القزم الصغير غريب اللون، فقال له: أريد أن تأتي معنا، فقال له: لا، وأغلق الباب في وجهه، وعاد آسر يطرق الباب من جديد وينادي عليه، ففتح الباب من جديد وهو يقول له: لم لا تتركني وشأني؟ فقال له: لا أستطيع أن أتركك وأنت حزين هكذا، يجب أنت تأتي معنا، عاد وأغلق الباب، ويأس آسر من أن يستجيب لدعوته، فاستدار وهو محني الظهر وحزين لحال الزاي العملاق؛ فهو طيب القلب، استضافهم وأطعمهم وسقاهم دون مقابل، ولم يسألهم عن شيء علىٰ الإطلاق، فقال له القاف: لا عليك يا صديقي لقد فعلت كل ما بوسعك، وما إن همَّا بالسير حتىٰ سمعا باب المنزل يفتح من جديد، وقد خرج الزاي ومعه حقيبة كبيرة يحملها علىٰ ظهره، وهو يقول لهما: انتظراني سوف آتي معكما.

التفت كلاهما للخلف، لم يصدقا أنه فعلا سيرافقهما في رحلتهما، وجرىٰ آسر في اتجاهه وأمسك بيديه، شعر الزاي ببراءة وصدق الصغير، ورغبته في أن يسعده؛ فابتسم ابتسامته الأولىٰ منذ أن التقي بهما، وساروا

جميعا في اتجاه الغرب، في رغبة من آسر أن يعلم نهاية الطريق كيف سيكون شكلها.

وفي أثناء السير، وآسر ممسك بيد الزاي، سأله آسر: ماذا يوجد في نهاية هذا الطريق؟ قال له الزاي: لا أعلم، فلم يتجرأ أحد علىٰ الإطلاق علىٰ الاقتراب من منطقة الغرب هذه، فقال له آسر متعجبا: وما السر الذي يجعلهم متخوفين من الأمر؟ قال له: من يذهب إلىٰ هناك لا يعود أبدا، لذلك لم يعد أحد يذهب إلىٰ هناك، فقال آسر للعملاق: ألست خائفا من أن تأتي معنا مثل باقي الحروف، قال له: ومم أخاف؟ الذي يخاف هذا يكون لديه من يخاف عليه، أما أنا لا أملك شيئًا يجعلني أقلق حياله، فقال له آسر وهو متردد في سؤاله: ما قصتك أيها الزاي؟ قال له: لا ماضٍ ولا حاضر ولا مستقبل، هذه هي قصتي، فقال له آسر: ولكني لم أفهم شيئًا علىٰ الإطلاق، هل يمكن أن توضح الأمر أكثر، إن لم أكن أتطفل وأثقل عليك في سؤالي، قال له الزاي: لا عليك أيها الصغير سأخبرك، أنا تزوجت من زمن طويل بامرأة كانت جميلة الجميلات، أحببتها وأحبتني، ولكن في النهاية تركتني ورحلت، قال آسر: رحلت إلىٰ أين؟ قال الزاي: ماتت، قال آسر: أنا آسف للغاية يا صديقي لم أقصد مضايقتك، قال الزاي: لا عليك، أنا لا أنساها أبدا بالأساس، وقلت ربما

إذا ذهبت معكم، أراها من جديد، قال آسر: أنا أتفهم شعورك، ولكن كان عليك أن تبدأ حياتك من جديد حتىٰ تنساها، قال له: لم أستطع، فهي ما زالت تسكن بداخلي، قطع حديثهم جدار عملاق للغاية شفاف اللون تظهر من خلفه ماكينات عملاقة تعمل دون توقف.

وقف ثلاثتهم منبهرين مما يحدث، ونظروا لبعضهم البعض، فقال آسر للقاف: ما هذا؟ قال له: لا بد وأنها ماكينة تبريد غلاف النون، ولكني لم أر مثلها في حياتي كلها، يا لها من مكينة عظيمة للغاية، فقال آسر للقاف: لا بد أن في أطراف الأرض كلها يوجد ماكينات مثل هذه، قال له: بالطبع يا صغيري وإلا لن يتماسك غلاف النون أبدا، ولن يتحمل ضغط الماء وسينهار علىٰ الفور.

قال له آسر: وما العمل إذا؟ ماذا سنفعل الآن؟ قال له القاف: حقيقة لا أعلم، ولكن تعالَ لنسير قليلا بجوار الجدار، لا بد أن نجد بابا أو ما شابه يساعدنا علىٰ النفاذ إلىٰ الداخل، فقال له آسر: ولم باب، وأنت تستطيع النفاذ من أي مكان؟ فنظر لهما العملاق، فغمز القاف لآسر وقال: كفاك مزاحًا، هيا سر في هدوء، ففهم آسر أن القاف لا يحب أن يعلم أحد عن هذه الأمور شيئًا، ويتطلع إلىٰ كتمان بعض الأمور، فسكت وسار في

صمت، إلىٰ أن أوقفهم مشهد تقشعر له الأبدان، إنها أشجار نصفها عالق بداخل الغلاف، والنصف الآخر خارجه، وتتدلىٰ منها فاكهة ذهبية اللون، لامعة وكأنها الذهب، فقال الزاي: يا إلهي! هي حقيقية وليست أسطورة، فقال له آسر: ما قصة هذه الأشجار؟ قال له هذه ثمرة الخلود، من يأكل منها يخلد ولا يموت أبدا، لم يصدق آسر والقاف وضحكا كثيرًا، وقالا في نفس واحد: كل شيء زائل إلا وجه الله، فقال لهما: تذوقاها وستشعران بالفرق، فكان لدىٰ آسر فضول لأن يأكل منها، ولكن القاف حذره من أن يلمسها، ولكنه لم يفهم سبب هذا التحذير، فقال القاف للزاي: لم لا تأكل منها أنت أولا؟ قال: آسر بتسرع أنا أولا، فقال له: اصمت الآن، ونظر مرة أخرىٰ للزاي وقال: تذوقها، ولكنه رفض بشدة، وكانت حجته أنه يريد أن يلحق بزوجته، فأصر القاف علىٰ طلبه، ولكن الزاي رفض بشدة، وتركهما وغادر، وقال لهما: طريقي غير طريقكما .

ونظر آسر إلىٰ صديقه القاف بغضب وقال: لم أغضبته؟ هو أصبح صديق لنا الآن، فقال له القاف: منذ متىٰ وأنت تعرفه حتىٰ يصبح صديقا لك؟ أليس لك عقل، وقال آسر: أنت كل مرة تتمسك برأيك، ولا تبالي برأيي وتظن أنني صغير ولا أفهم شيئًا علىٰ الإطلاق، فقال له القاف: أنت كذلك، وهل تظن أنها شجرة الخلود كما كان يدعي؟ فقال له آسر: ولم

قد يكذب؟ قال: لأنها ليست كذلك، هذه الشجرة إن أكلنا منها ستعيدنا لسيرتنا الأولىٰ، ثم ستنزلنا إلىٰ السماء الدنيا بعدها، هل تريد أن تتراجع بعد كل هذه المسافة، قال له آسر: وما أدراك؟!، قال: لقد أخبرني جدي بالأمر، وهذا ليس حرف زاي كما تظن، إنه اختبار ربك ليختبر صدق نيتك علىٰ الوصول، أم أنك ضعيف العزيمة، ولن تقوَ علىٰ إغراءات الطريق؟ هل تريد أن تكون من الضالين؟ إذا كنت تريد، فكل منها، وهذا فراق بيني وبينك، وهنا تتوقف رحلتنا، عليك أن تعقل الأمر، في كل سماء نصعدها تكون حركتهم أبطأ ولغتهم أرقىٰ، ألم تلحظ أن هذه الزاي تتحدث بنفس لغتنا وتتحرك مثلنا؟! كيف لك أن تصدقها؟ هيا تعال ورائي. ورحل القاف وترك آسرًا يتصارع مع غرائزه الداخلية ورغباته، ونظر آسر للثمرة وكم هي رائعة لم يرَ لها مثيلًا، ونظر إلىٰ هدفه فوجده أكثر روعة وأكثر نفعا من مجرد ثمرة سيستمر الاستمتاع بها لدقائق معدودة، ولكن إكمال الطريق ولذة الوصول ستستمر إلىٰ أن يشاء ربه، فأدرك صدق صديقه القاف، وأنه يقول الصواب، وجرىٰ خلفه وأمسك بيديه، نظر له القاف وابتسم وقال، أعلم أنك دائما ستفعل الصواب.

غلاف السماء الثالثة

بعد أن دخل آسر والقاف من باب جدار الوصل بين النون والباء، قال آسر للقاف: عندما أعود سوف أرسم رسمًا تفصيليا عن آلية عمل هذه الآلات حتىٰ نصنع مثلها ونستخدمها في بناء غواصات تتحمل ضغط آلاف الكيلو مترات تحت الماء، ستكون طفرة في عالم صناعة الغواصات، تخيل فقط مدىٰ النفع الذي سيعود علىٰ البشر من وراء هذا الأمر، وقتها سيستطيع البشر أن يخرجوا موارد أكثر من قاع المحيطات، يا لها من قاعدة يا صديقي، لا يتحمل ضغط الماء إلا الماء، ربما سيكون أعظم القوانين الفيزياء علىٰ الإطلاق؛ فقط تخيل أني فور خروجي من هنا، وعندما أعود إلىٰ عالم البشر سوف أغير كل شيء للأفضل، ستكون هناك حياة أسهل، فإن كان خالقنا جعل وخلق من الماء كل شيء حي، تخيل إذا تبنىٰ البشر هذه النظرية وعملوا علىٰ تطبيقها، ستكون بها الحياة أيسر، الماء يا صديقي ولا شيء غير الماء، إنه أثمن من الذهب، وأكثر قوة من الفولاذ، وأنقىٰ من الزمرد، وصفه الخالق بأنه الحياة، فلذك هو الحياة يا صديقي، أنا تعلمت هنا ما كنت لأتعلمه يومًا، لذلك أنا فخور أنك صديقي أيها القاف، أجابه: بل أنا أكثر فخرًا بصغيري الذي أصبح نضوجه يفوق عمره بكثير.

سأل آسر القاف عن الخطوة التالية، وكيف ستكون الوجهة إلىٰ السماء التالية، أخبره القاف أن الحل الأمثل لتلاشي معيقات الصعود هو أن يسيرا داخل الغلاف إلىٰ أعلىٰ ثم يهبطا عند نقطة الطواف ويدخلا لأنبوب اللام، فقال آسر للقاف: كما تريد أنا معك، وبدآ بتسلق الغلاف من الداخل، وكانت المتاهات الداخلية للغلاف هي المعين علىٰ التسلق بسهولة، دون عناء، حتىٰ وصلا لنقطة المنتصف، ونظر آسر للأسفل وشعر أن المسافة كبيرة للغاية، وتساءل عن الآلية التي سيهبطان بها دون أن يتعرضا لأي ضرر، قال القاف: أنت يا صغيري خير معين علىٰ هذه الأمور، من حسن الحظ أنك همزة، ضحك آسر قائلا: أنت تخبرني بأمور أنا لا أفقهها عن نفسي.

قال آسر: أخبرني ماذا أفعل بالضبط؟ قال له: الهمزة عندما تكتم الأنفاس؛ تنقطع حركتها وقوفا حتىٰ ولو في الهواء، ولا تتأثر بجاذبية الأشياء، وإنما الهواء هو كلمة السر فيها، عندما نقفز من هنا اصرخ بأعلىٰ صوتك مخرجا الهواء بسرعة، وقبل بلغونا سطح بيت الطواف بقليل اكتم أنفاسك بسرعة، وقتها ستتعلق في الهواء لمدة، ثم تنفس بهدوء، وسننزل بهدوء دون أي أذىٰ.

انبهر آسر بهذه المعلومة غير المألوفة أبدًا، وقال له: أتعلم ماذا يمكنني أن أعمل بهذا الأمر؟ يمكنني الطيران والقفز عاليا والتعلق في الهواء، يا لها من متعة يا صديقي!، هيا تمسك بي جيدا حتىٰ ننطلق، تمسك القاف به وانطلاقا، قفز كلاهما من الغلاف، وهما يصرخان صرخات مدوية للغاية، يملؤها السعادة والاستمتاع وحب المغامرة، إلىٰ أن اقتربا من بيت الطواف وأوشكا علىٰ الاصطدام وهنا بدأ آسر يصرخ خوفا، قال له القاف عدة مرات عليك أن تكتم أنفاسك، ولكنه مزال يصرخ، فقد القاف الأمل، وأيقن أنه سيلاقي حتفه بعد لحظات معدودة، ولكن قبل اصطدامهما بنصف متر فقط كتم آسر أنفاسه وأنقذ نفسه والقاف من هلاك مؤكد، ومن ثم التقط أنفاسه من جديد، واصطدما بالأرض وهما يضحكان علىٰ أنفسهما.

قال آسر للقاف هيا بنا، قال له: اهدأ يا رجل، دعني ألتقط أنفاسي، كدت أموت خوفا، ضحك آسر وقال له: إذا لم تمت من الاصطدام مت خوفا، نظر له القاف وهو مغطاظ من ضحكات الصغير، وولىٰ بوجهه في الجهة المغايرة، وآسر كان يقوم بعض التجارب علىٰ حركات جسده وهو همزة؛ فيرفع قدمه في الهواء هما بالسير فيكتم أنفاسه فيتوقف عن الحركة لا إراديا، ويقفز لأعلىٰ ويكتم أنفاسه فيظل معلقا في الهواء، ويجرب

الكثير من الحركات ويضحك ضحكات مدوية، يلتفت له القاف، ويبدأ بالضحك أيضا، ويشعر بالسعادة كون الصغير يستمتع بجميع أوقاته.

لاحظ آسر أثناء دخولهم بيت الطواف متخفين أن عدد مرات الطواف في هذه السماء ثلاثة فقط، وتأكد من نظريته في العدد التنازلي والتصاعدي حسب اتجاه سيرهم، وعبرا الباب السري وصولا للدرج، وسارا لأنبوب اللام الذي سيوصلهم للسماء الثانية وجهتم التالية.

وقفا استعدادا للقفز داخل أنبوب اللام متحمسين لمعرفة اللون الذي سيتحولان له فور قفزهم داخل الأنبوب، والتغير الذي سيطرأ عليهما، أمسكا بأيدي بعضهما البعض بإحكام شديد، وأغمضا أعينهما، وقفزا داخل الأنبوب للمرة الثانية، وهما يطلقان الصرخات العالية التي كانت تتردد دخل الأنبوب، وكانا يتركان صوتهما خلفهما وراء ظهريهما لأن سرعتهما تفوق سرعة صوتهما بكثير، إنها لحظات يتبدد فيها الزمن، وتتغير فيها خواص الأجسام، وتتغير القوانين التي تحكم المادة.

لفظهما الأنبوب بقوة إلىٰ أعلىٰ، فهبطا مرتطمين بالأرض متألمين من شدة الاصطدام، ووقفا بعد استعادة قوتهما لينظرا إلىٰ انعكاس صورتهما في السطح الثلجي، وقد كان آسر الصغير أيضا همزة، ولكنه كان برتقالي

اللون، وكذلك القاف، قال آسر: انظر إليّ وأنا برتقالي اللون، أعتقد أني في منتهىٰ الوسامة، فضحك القاف وقال له: أنت كذلك طوال الوقت، كفانا تضيع للوقت، هيا بنا لنصعد بسرعة، وافقه آسر، وهمّا بالسير تجاه الدرج شرقا، وصعدا لأعلىٰ، وخرجا من بيت الطواف متخفيين، ثم ظهرا وسط الحشد فجأة دون أن يلحظهم أحد، وكانت حجمهم ولونهم يتناسب مع سكان هذه السماء تمامًا، وطافا في تضرع وخشوع حول بيت الطواف الذي كان لونه لم يره آسر في حياته كلها، ولم يعرف اسمه، ولكنه كان هائمًا به، وكان شعوره أقوىٰ من أي طواف في السماوات السابقة، وقد طافا مرتين فقط، ولكن شعورهما بهاتين المرتين لا يوصف ولا يقدر بثمن، وما إن خرجا من بيت الطواف حتىٰ سأل آسر القاف قائلا: ما لون بيت الطواف هذا؟ أنا لم أر في حياتي كلها هذا اللون.

قال له: إنه يدعىٰ باللون الاستبراقي، قال له آسر: يا له من اسم عجيب! ولكن بالفعل يوجد به بريق غير طبيعي، فبريقه لم تلحظه عيني فقط، وإنما قلبي شعر ببريقه أيضا، وهناك أمر آخر أريد أن أعرفه يا صديقي؛ لم مرات الطواف تقل كلما صعدنا إلىٰ أعلىٰ؟

قال القاف: هذا السؤال علىٰ وجه التحديد لن أجيب عليه، وإنما أنت الذي ستجيب عليه بنفسك، ولكن ليس الآن، وإنما عندما ننتهي من رحلتنا، إجابتك هي التي ستقول إن كنت قد تعلمت حقا مما رأيت، أم لا، فعليك يا صديقي أن تنتبه لكل شيء قبل أن تنتهىٰ رحتنا، لأن هناك سيلًا من الأسئلة في انتظارك، ولن يجيب عليها غيرك.

هز الصغير رأسه وهو في حيرة من أمره، وكان يتساءل؛ كيف يمكنه أن يجيب علىٰ أسئلة يجهل الإجابة عليها، فملأ قلبه القلق من كونه لم يتعلم ما كان ينبغي أن يتعلمه، وقطع تأمله تساؤلات قلبه صوت عذب جدا يتردد بكلمات منزلة من عند خالق الحروف، وكان الصوت عذبا فصيحا بشكل لم يسمعه في حياته كلها، وبدأ بالبحث عن مصدر الصوت ليجد أنه حرف خاء أصفر اللون يظهر عليه علامات الوقار والحكمة، هائم فيما يردد من كلمات بفصاحة، وقف هناك وقدمه تأبىٰ أن تخطو خطوة واحدة من جمال صوته وعذوبته وفصاحته، ونظر للقاف قائلا: ما هذا الجمال يا صديقي! يا لها من نغمات صوت عذب!، وكلمات فصاحتها تخرج مثل السهام فتصيب القلب وتأسره.

وضع القاف يديه فوق كتف صديقة الصغير وقال له: يا صديقي إنها كلمات منزلات من عند خالقنا منزل الكلم وواهب الحيوات المتباينة للمخلوقات، يتردد بها كل لسان من أول سماء إلىٰ آخر سماء، إنها نفس الكلمات يا صديقي.

قال له آسر: هذا مستحيل، لا يمكن أن تكون نفس الكلمات أبدا، قال له: بل هي كذلك، ولكن فصاحة لسان أهل هذه السماء وصدق شعورهم وهيامهم وتعلقهم بخالقهم هو الذي يعطي للكلمات هذا البريق.

قال آسر: كيف يمكن للمشاعر أن تتحول لسهام تصيب القلوب بهذا الشكل، وتتحول الكلمات لشفرات تعيد برمجة كل شيء بداخلك، قال له القاف: لقد أصبت التعبير يا صغيري، إنها فعلا شفرات تعيد برمجة قلوبنا وعقولنا، وتقتل كل شيء يسبب بداخلنا خللًا، فكلمات خالقنا أنزلت شفاءً لنا يا صديقي، قال آسر: أنا فهمت الآن، الوقاية والعلاج ليسا طعامًا، وليسا دواء مديًا وإنما العلاج والوقاية الحقيقية هو شعور، ولا شيء آخر غير الشعور، إنه الشعور يا صديقي، كلمة السر، كلمات أنزلها لكم خالقكم حتىٰ يقومكم لتظلوا في أفضل صوركم، ولتكونوا في نقاء لا تعكره حتىٰ أحبار أقلمنا التي ترسمكم.

قال القاف للصغير: أراك الآن فهمت يا صديقي، وفطن وفقه قلبك أمورًا كثيرة، قال لكني أشعر أن هناك الكثير من الأمور تنتظرني لأتعلمها، وأريد أن أفهم المزيد يا صديقي، هيا بنا.

همّا بالسير إكمالا لطريقهما، ولكن هناك شيئًا مختلفًا، لاحظ آسر أن الضوء شديد بشكل كبير جدا، لدرجة أنه لا وجود للظل، فالضوء قوىٰ للغاية، فنظر للسماء ليجد الشمس كبيرة للغاية ومتوهجة جدا، فقال القاف: انظر كيف أن الشمس قريبة جدا منا، ومع ذلك لا نشعر بحرارتها، قال له: إنها خواص جسدك ولونه الذي يتحمل درجات الحرارة العالية، يا صغيري؛ تدرج الألوان ليس علىٰ سبيل الصدفة، فكلما اقتربنا أكثر يصير للون خواص أقوىٰ؛ فيتحمل أكثر، ولا يصاب بأذىٰ من مقدار الحرار ولا الضوء، قال له: نعم فهمت.

الأشجار هنا برتقالية، وسائلها كذلك برتقالي اللون، وعندما تذوق آسر الفاكهة وسائلها دخلت ملامحه في حالة من التيبس التام وأصبح لونه أغمقًا أكثر، هزه القاف بقوة وقال: ما بالك يا صغيري؟! ما الذي حدث؟ وما إن أفاق آسر من تيبسه حتىٰ قال له: ما هذا؟ قال له: ما بالك يا صغيري؟ قال له: إنها الفاكهة! هي عجيبة! يصعب وصف هذا الشعور،

أنا لا أفهم ما الذي يحدث، عليك أن تجربها أيها القاف حتىٰ تفهم ما أقول، تناول القاف واحدة، وحدث له نفس التيبس الذي أصاب الصغير، وأصبح لونه كذلك أغمقًا، فضحك آسر وقال له: ما رأيك؟! إنها عجيبة، أليس كذلك؟ قال القاف: نعم، وكأنها تؤكل وتهضم وتذهب لأعضاء أجسادنا في نفس ذات الوقت، أجسامنا هذه هي العجيبة وليست الفاكهة، إنها أجساد قوية للغاية وتعمل بكفاءة عالية للغاية، قال آسر: إن هذا الأمر رائع للغاية، أنا ما زلت لا أصدق أني أخوض هذه التجربة الرائعة حتىٰ الآن، قال القاف وهو يضحك: عليك أن تصدق إذا.

وهمّا بالسير في الطرقات، البيوت في هذه السماء أكثر تنظيما، كل شيء هنا في منتهىٰ النظام، التفت القاف لآسر: ألم تكتفِ بهذا القدر هنا؟ علينا أن نتجه إلىٰ السماء التالية علىٰ الفور، فقال آسر للقاف: ولكنا لم نمكث كثيرًا هنا، قال القاف: أعتقد أننا لسنا بحاجة لنمكث أكثر، المهم الآن أن نذهب إلىٰ السماء التالية ونحن الآن بالقرب من منطقة الطواف، فلمَ لا نذهب ونتجول أكثر في السماء التالية؟ أعتقد أن ذلك سيكون بالنسبة لك ممتعا أكثر، صدقني، ألست متشوقًا لتبلغ السماء الأولىٰ، وترىٰ أعظم سماء علىٰ الإطلاق، قال له: أنا كذلك، وبالفعل معك حق يا صديقي، هيا بنا نهم بالرجوع لبيت الطواف، ولكن لدي فضول أن أعلم عدد

ساعات اليوم في هذه السماء، قال له: اليوم هنا يا صغيري ألف وخمس مئة وستة وثلاثون ساعة، قال آسر: يا للهول! إنه يوم طويل للغاية فعلا، قال القاف: فعلا هو طويل، ولكن كما أخبرتك سابقا؛ إن خواص الأجسام وحجمها وكثافاتها ولونها كل هذه الأمور تساهم في الشعور بأنه يوم عادي للغاية وكأنه أربع وعشرون ساعة فقط، قال آسر: فهمت يا صديقي، وسارا عائدين إلىٰ منطقة الطواف لبلوغ هدفهم القادم.

السماء الأولى

عادا مرة أخرىٰ لبيت الطواف، ودخلا متخفيين من جديد، وصعدا للسماء التالية، وما إن خرجا من الأنبوب، واستعادا قوتهما نظرا ليجدا لونهما قد أصبح أحمر، وشعرا أن جسديهما أصبحا أكثر صلابة، إنها أجساد قوية للغاية، وقفا متأملين انعكاس صورتهما هناك متحسسين بأناملهما تفاصيل ملامح جسديهما، مذهولين بالتغيرات الطارئة، قال آسر للقاف: هناك شيء بالفعل يحيرني جدا، وكنت أود سؤالك إياه منذ أول الوقت ولكن قلت ربما أفهم عندما أصل إلىٰ هنا، ولكن ما زلت لا أفهم، فقال له القاف ما هو؟ قال له ترتيب السماوات؛ بدأنا رحلتنا بالسماء الدنيا بلوغا إلىٰ هنا، أليس من المفترض أن تكون السماء الدنيا هي الأولىٰ، وهذه السماء هي السابعة؟ أليس من المفترض أن عد طوابق

البناء يبتدئ من الأسفل صعودا إلىٰ الأعلىٰ، أم أنا مخطئ، قال له: أنت علىٰ حق يا صديقي، وأصبت عين الصواب فيما تقول، وكنت أنتظر هذا السؤال منذ أن بدأنا رحلتنا، فقال آسر: إذا ما هو الصواب يا صديقي؟ قال القاف: الصواب كما قلت تماما هذه بالفعل السماء السابعة، ولكن كنت أخبرك بترتيب عكسي لأيسر عليك الفهم، وأردت أن تربط عدد مرات الطواف برقم كل سماء ولا تتشتت أفكارك، وفي النهاية كنت سأخبرك بالترتيب الصحيح، ثم قال له: وهناك شيء آخر أريد أن أخبرك به، كنت أريدك أن تلاحظ أمرًا أهم؛ وهو أن السماء الرابعة -إن عددنا بشكل تصاعدي أم تنازلي- سيكون ترتيبها في كلتا الحالتين الرابع وعدد الطواف كذلك، ألم تلحظ أن هذه السماء علىٰ وجه الخصوص هي التي أرسل لنا فيها اختبار، إن لم نكن اجتزناه ما كنا لنصعد إلىٰ هنا؟ وهي السماء الوحيدة التي انغلقت فيها جميع السبل في طريقنا، قال آسر: نعم معك حق، فأكمل القاف حديثة قائلا: دائما منتصف الطريق يكون اختبارا لكل بالغ طريق أو هدف، والكثير يقف ولا يكمل النصف الآخر، ولكن القليل هم من يبلغون النصف الثاني ويصلون إلىٰ أهدافهم، وما يتحكم في الأمر هو شيء واحد فقط، قال آسر: ما هو يا صديقي ؟ أجابه القاف قائلا: إنه صدق النوايا، ولا شيء آخر، فصدق النية يكسب القوة

والعزيمة لصاحب الهدف، وأنت يا صغير أصدق رجل صغير رأيته في حياتي في طلب مبتغاه، لذلك أنت هنا الآن، لم يتبق سوىٰ القليل فقط، بينك وبين مبتغاك بضع لحظات معدودة، قال آسر لصديقه: نعم لم يتبقَ سوىٰ القليل لأرىٰ سطح الكون، وأرىٰ العرش بأم عيني وأفهم الغاية والسبب.

خرجا من بيت الطواف طائفين حول البيت مرة واحدة بين الحشود في خشوع وتضرع أكثر وأكثر، البيت أكثر بريقا وأكثر بهاءً وجمالا، كل شيء حولهم جميل وبهي، كل شيء يظهر وكأنه كامل تام ليس به نقص، حتىٰ لغتهم كذلك وكأنها وصلت إلىٰ قمة فصاحتها وبيانها.

وما إن خرجا من منطقة الطواف حتىٰ قال آسر للقاف، هل للأرقام علاقة بهذا الكمال، قال له: أرىٰ أنك أصبحت تسأل أسئلة أكثر ذكاء، بما أنك سألت، أعتقد أنه توجد بعض الإجابات غير المكتملة بداخلك، ما رأيك أن تجيب علىٰ حد استيعابك، ثم أكمل لك إجابتك؟ قال آسر: الأمر أنه عندما كنا في السماء الأولىٰ الدنيا كانت الأشجار هناك هي التي تعالج كل خلل في الجو وفي أجساد الحروف، والأجساد كانت ضعيفة وتفتقر إلىٰ شيء يعينها علىٰ الاستمرار، وما إن صعدنا إلىٰ السماء التي ليها

كانت أشجار وقاية وليست دواء، وتتوالىٰ الأسماء بنفس الترتيب، فاتفق في كل عدد فردي مفهوم العلاج، وفي الزوجية كان مفهوم الوقاية هو الذي يطغىٰ ويتحكم بها، فكانت الزوجية تمثل الوقاية، والفردية تمثل العلاج، حتىٰ سقف كل سماء قطعة واحدة دون زوايا ولا أعمدة فتتمثل فيها الفردية لتعالج نفسها طوال الوقت من أي خلل يصيبها، وتعيد تجميد الماء حولها علىٰ الفور، وفي المقابل تكون واقية لكم عندما تجتمع مع الباء فتمثل الزوجية عنما تتزاوج النون مع الباء، أليس الأمر رائعًا وبه تسلسل منظم للغاية؟!، وكأنها قوانين قد تم حياكتها دون أي خطأ يذكر، ضحك القاف قائلا لصديقه: أنت لم تخطئ في كلمة واحدة، وإجابتك ليست بحاجة إلىٰ إضافة، لقد أصبت في كل كلمة بدقه شديدة أيها الصغير.

همّا بالسير مبتعدين عن منطقة الطواف متأملين في كل شيء من حولهما، فكل شيء من حولهما متناسق تناسقًا تامًا، حتىٰ جذوع الشجر بها تناسق لم يكن موجودًا في أي سماء أخرىٰ، وأحرف السين تقف بانتظام أكثر، ربما هي كأسنان مشط في تلك السماء، ولكن النظام هنا لا يضاهيه نظام، لا مجال لخطأ ضئيل جدا داخل هذا النظام، وعدد ساعات اليوم في هذه السماء ثلاث ألف واثنان وسبعون ساعة، وحشرة الشمس هنا أكثر نشاطا

وأكثر إنتاجا للكهرباء، فكل حشرة منها تمد سبعة منازل بالكهرباء في وقت واحد بكفاءة عالية للغاية، وحشرة (اللم) تعمل بكفاءة عالية للغاية، والذي ساعد علىٰ ذلك تناسق جذوع الشجر، فتقطف سبع ثمرات في قطفة واحدة وتضعهم داخل الصناديق بنظام متقن، وحتىٰ ساحات شحن السيارات لا يوجد بها الكثير من حشرات الشمس؛ فالحشرة الواحدة قادرة علىٰ شحن واحد وعشرين سيارة في نفس ذات الوقت، فكل حشرة تقف ويقف حولها السيارات علىٰ شكل دائرة مقسمة لواحد وعشرين مكان، في مكان من هذه الأمكنة تقف سيارة، ويمتد كبل مغذي من ذيل الحشرة مقسم إلىٰ أسلاك أصغر حجما بعدد السيارات الواحد والعشرين متصلة بطرف كل سيارة، فالساحة كبيرة للغاية ولكن بها عدد أقل من الحشرات لقدرة وإمكانيات حشرة الشمس الفائقة.

سارا ضربا في الأرض هائمين متأملين في كل تفصيلة من التفصيلات التي تراها وتشهدها قلوبهما، إنها مرحلة التمام والكمال، لا نقص ولا خطأ، ولا هناك حتىٰ قدم تتعثر أو تذل، إنها أرقىٰ السماوات علىٰ الإطلاق وأنقاها، هنا كل شيء يتحدث عن نفسه، فالبيان والفصاحة والصفاء والنقاء قواعد أسست عليها هذه السماء التي هي أقرب السماوات لخالقها، فيها صفوة الصفوة من الحروف العربية، فكل حرف فيها يفصح

عن نفسه دون أن يكون هناك مجال لسؤال جديد، هنا يتم الفهم، ويجبر النقص، وتهدأ الجوارح، وتتيقن القلوب والعقول بخالقها دون أدنىٰ شك، هنا الحروف مجبولة علىٰ عبادة خالقها، دون أن تفكر حتىٰ، ومعصومة من الخطأ والوقوع في الشهوات والمعاصي.

هذا فراق بيني وبينك

سأل آسر القاف قائلا: كيف يكون الطريق للسطح؟ قال له القاف: هناك طريقان ولك ما شئت باختيارك، أن نعود لمنطقة الطواف ونصعد من أنبوب اللام ووقتها سيكون صعدونا فوق الشمس والقمر وسيكونان أسفل منا، والثانية أن نصعد من خلال الغلاف، ولكن سيكون آخرنا أسفل الشمس والقمر، فأي أفق تحب أن تذهب إليه؟

صمت آسر قليلا يفكر فيما يريد تحديدا، ثم قال للقاف: وجهتنا أنبوب اللام. قال له بما أنك اخترت أنبوب اللام وقتها لا يمكنني أن أكمل معك، هنا حدودي ولن أستطيع أن أتجاوز أكثر، أنت وحدك الذي سيُسمح له بالمرور، أنا سأوصلك حتىٰ الأنبوب وسوف أودعك هناك، أنا أعلم أنك قادر علىٰ الإكمال بمفردك؛ فقد تعلمت أشياء كثيرة ستعينك علىٰ التصرف بحكمة مع كل شيء سيقابلك، أنا أثق بك وأثق

بقدراتك. فقال له الصغير لا تتركني، تعالَ معي، فلنحاول ربما يمكنك العبور. قال له: صدقني لا يمكنني أن أعبر بأي شكل من الأشكال، إن دخلت معك إلىٰ الأنبوب سوف أسير في الاتجاه المعاكس لك نزولا للسماء الدنيا. قال له آسر: لا بأس، ادخل معي وربما نصعد سويا.

وبدأ الصغير بالبكاء لأنه شعر أنه علىٰ وشك أن يفقد أعز أصدقائه، واقترب آسر من القاف وعمد إلىٰ ضمه والدموع تنهمر منه بغزارة، فقال له القاف بصوت مختنق: أعلم يا صغيري أنها مرارة الفراق، ولكن صدقني الوصول للمبتغىٰ سيهون عليك الكثير، يكفي أنك ستنفع أهل جنسك كلهم دون أن نستثني منهم فردا، أنا واثق أن أثرك سيمتد إلىٰ ما لا نهاية، صدقني، عندما تصعد يا صديقي ضع يدك علىٰ قلبك وتأمل نبضاته وستجدني هناك، أنا من أول يوم بداخلك أنبض نبضات منتفضة ربما أبرحك ألما، وأفقدك صوابك، ولكن عليك أن تصدقني وتثق أني لم أنتهك راحتك وطمأنينتك إلا أنني رأيت فيك الخير والمستقبل، سامحني يا صديقي هذا فراق بيني وبينك.

نور سطح الكون

وقف الصغير والقاف ممسكين بيدي بعضهما البعض أمام أنبوب اللام يتنهدان تنهيدات عالية للغاية تخرج من عمق قلبيهما، استعدادا للقفز، وموقنين أن هذه القفزة ستكون لحظة الفراق بينهما، نظرا إلىٰ بعضهما البعض وأشارا برأسهما، وقفزا وسارا سويا حتىٰ نقطة الفراق، هنا حاول كل منهما أن يتمسك بيد صديقه بقوة ولا يفلتها أبدا، نظراتهما كانا يتبادلانها وهم يودعان بعضهما البعض وانفلتت أيديهما، ونزل القاف للسماء الدنيا، وعرج الصغير لسطح الكون، ملامحه تعود لسابق عهدها ويسترد شكله من جديد، ويخرج من فوهة حلقة ملقاة في أرض فلاة مقفرة لا ماء فيها، ويكبر حجمه للغاية، ويلقىٰ علىٰ الأرض من قوة طرده من فوهة الحلقة، ويظل علىٰ وضعه دون حركة والدموع تنهمر من عينيه، وقلبه يتألم ويعتصر لأنه فقد صديقه بالطريق، لم يلتفت إلىٰ شيء ولم يبالِ بشيء، وإنما ظل علىٰ نفس وضعه وخده ملامس للتراب إلىٰ أن تذكر قول صديقه له عندما تصعد للسطح ضع يدك علىٰ قلبك ستجدني هناك أرشدك لطريقك، هنا التف آسر بجسده موجها رأسه لأعلىٰ واضعا يده علىٰ قلبه قائلا بصوت مختنق أنا أشعر بك يا صديقي، والدموع تنهمر منه، تتساقط منه بغزارة.

هنا لاحظ آسر أن فوقه سماء وسحاب يسير بهدوء، وشمس ساطعة، فوقف بسرعة لينظر حوله لجيد أنها ساحة فارغة بجوار منزله، لقد عاد إلىٰ عالمه من جديد، لم يفهم شيئًا فنظر للأرض يبحث عن فوهة اللام التي خرج منها ليجد حلقة زرقاء زجاجية صغيرة بها فوهة من المنتصف تنفذ من الناحيتين، وفي أعلاها داخل غلافها الزجاجي توجد الشمس والقمر يدوران باستمرار دون توقف.

أيقن وقتها أنه يمسك بعالم الحروف بين يديه، وهرع جريا باتجاه منزله حافي القدمين وطرق الباب، لتفتح له أمه الباب فارتمىٰ بحضنها بقوة، وقالت له: متىٰ خرجت يا صغير؟ كنت أجهز لك الفطور حتىٰ تذهب إلىٰ مدرستك، ظننت أنك نائم بالفراش.

قال لها: لقد سافرت إلىٰ عالم الحروف فور خروجك من غرفتي، فالقاف خرج من الحائط وأخذني معه.

تذكر أمر صديقة القاف فترك أحضان أمه وصعد جريا لغرفته ليتأكد أن القاف مرسوم في مكانه ولم يتركه، وما إن فتح باب الغرفة وقف وأخذ نفسا عميقا ودخل الغرفة وتقدم بهدوء وهو ينظر للحائط ليجد أن القاف هناك ولم يبرح مكانه، فالتصق في الحائط يقبل موضع القاف ويقول

الحمد لله أنك هنا، فيغمز له القاف بعينيه ويعود لتجمده من جديد فور دخول والدة آسر الغرفة.

وقفت عند باب الغرفة عاقدة ليديها داخل بعضهما البعض متعجبة من تصرفات ولدها، قائلة له بنبرة توعد: كيف لك أن تخرج من المنزل دون إذني، فالتفت لها الصغير وكانت الدموع تملأ عينيه، فانفكت الأم من جمود حركاتها وصوتها وقالت بلطف ماذا بك يا صغير ما الذي حدث؟ جرىٰ الصغير نحو أمه فانحنت بسرعة لتحتضنه، وقال لها وهو يبكي: أنا حقا آسف لن تتكرر أبدا، لن أخرج أبدا من المنزل دون إذنك بعد اليوم، كل ما في الأمر أنني أردت السفر إلىٰ عالم الحروف ولكن...

توقف عن الحديث هنا، فأنزلته أمه علىٰ الفراش وجلست بجواره وقالت له ولكن ماذا؟ قال لها لا شيء.

قالت: لا عليك إن كنت لا تريد أن تتحدث فلا تتحدث، ولكن عليك أن تسمعني جيد، أنا أثق بك وأثق بكل ما تمتلكه من إمكانيات، وخيالك أيضا خصب وهذا الأمر في حد ذاته رائع، لأنها هبة من أعظم الهبات التي قد يمنحها الله لأحد، ونادرا ما يتحلىٰ بها شخص، وأنت يا بني موهوب للغاية، ولكن يجب أن تعلم أن لكل شيء في هذا الكون حدود يجب ألا

نتخطاها أبدا، لا يجب أن تنغمس في خيالك لدرجة إيذاء نفسك، وخروجك من المنزل في هذا البرد بثياب النوم وحافي القدمين ودون أن تستأذنني حتىٰ، كل هذه الأمور قد عرضت فيها حياتك للخطر، هذه المرة لن أعاقبك ولن أسألك عن شيء ولكن إذا تكررت هذه الأفعال مرة اخرىٰ سيكون هناك عقاب، وعقاب شديد أيضا ولن تمر أبدا، وسوف أخبر والدك أيضا عن الأمر.

فقال من فوره: لن تتكرر، لا تخبري أبي يا أمي أرجوك، فقالت له: هدئ من روعك لن أخبره هذه المرة فقط، هيا اذهب وجهز نفسك لقد اقترب ميعاد الحافلة التي ستنقلك إلىٰ المدرسة، فقال لها حاضر يا أمي، اذهبي وأنا سآتي خلفك ولن أتأخر عليك.

خرجت الأم من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، التقط الصغير أخيرا أنفاسه وفتح قبضات يده لينظر لحلقة السماوات السبعة بإمعان شديد، وهو يقول «يا للعجب! العالم بأسره بين يدي» وأسرع ليرتدي ملابسه ليتجهز للذهاب إلىٰ المدرسة وجاء بخيط ووضع فيها الحلقة وعلقها في رقبته حتىٰ تتدلي بقرب قلبه، ونزل وهو مستعد ليوم جديد، ولكن هذه المرة سوف يبدأ بآفاق جديدة وفهم أكثر لكل شيء حوله.

جلس علىٰ طاولة الفطور وسكب الحليب في الإناء الذي به رقائق الفطور، وأثناء ما كان يسكب الحليب كان يدقق النظر في كل قطرة تتساقط من فوهة الزجاجة، وكان يتأمل كيف أن قطرات الحليب تترك عالمها وتضحي بنفسها لأجل أن تكون غذاءً له! كان يتساءل أن لونه أبيض، يا ترىٰ خواصه تندرج في أي مرتبة؟

أصبح يتأمل في كل كبيرة وصغيرة، وكلما وقعت عيناه علىٰ شيء يتأمله ليجد أن كل شيء صنع ووجد كان الهدف منه خدمة البشر، بدأ يشعر بأنه ملك صغير يسير والحياة كلها من حوله تخدمه في خضوع تام لأوامره ومتطلباته، نادت عليه أمه قائلة: هيا بسرعة لقد وصلت الحافلة.

هم آسر بالنهوض ليلحق بحافلة المدرسة، فقبلته أمه وهم بالجري في اتجاه الحافلة، صعد ليجلس في آخر الحافلة، في الزاوية بعيدا عن زملائه علىٰ غير عادته فهو دائما يجلس في المنتصف ويتواصل مع الكل ولكن اليوم لم ينظر حتىٰ إلىٰ أحد، ولم يسلم أو يتحدث إلىٰ زملائه، وإنما دخل الحافلة في هدوء، واختار زاوية هادئة ليجلس فيها، وأخرج دفتره ليدون تفاصيل رحلته بأدق تفصيلها الصغيرة، وأثناء ما كان يدون ويرسم

بعض الصور تذكر الحقيبة التي كانت بها المخطوطات، وتساءل أين هي الآن؟ وقال «ربما أجدها في الأرض الخالية بجوار منزلنا»

وهنا جلس يفكر كيف سيهرب من مشرفة الحافلة عندما ينزل إلىٰ مدرسة حتىٰ يذهب ويلتقط الحقيبة قبل أن يجدها أحد، وما إن وصلت الحافلة، وهمّ الطلاب بالخروج، اختبأ داخل الحافلة ولم ينزل منها، ونظرت مشرفة الطلاب داخل الحافلة ولم تجد أحدًا وتحركت الحافلة لتدخل موقف الحافلات التابع للمدرسة، فخرج السائق وأغلق أبواب الحافلة بإحكام، وقتها خرج آسر من مخبئه وفتح نافذة الحافلة وقفز منها للخارج وخرج من الموقف بحذر خوفا من أن يراه أحد، ونجح في الخروج دون أن يلحظه أحد، وهم بالجري باتجاه المنزل، إلىٰ أن وصل للأرض الفارغة بجوار منزلهم وبدأ بالبحث عن الحقيبة، حتىٰ وجدها ملقاة في الزاوية، فجرىٰ نحوها بسرعة، وقام بضمها، فهذه الحقيبة هي الدليل الوحيد علىٰ رحلته وخير معين له علىٰ تذكر كل كبيرة وصغيرة حتىٰ يدون كل شيء بأدق تفاصيله، قام بإفراغ محتوىٰ حقيبته المدرسية علىٰ الأرض ووضع بداخلها حقيبته الأخرىٰ، والتقط دفتره في يديه وترك بقية أغراضه ملقاة علىٰ الأرض وتركها وذهب، فبين يديه كنز أهم من كل شيء، نظر إلىٰ ساعة يديه ليجد أن ميعاد انقضاء اليوم الدراسي تبقي

عليه ساعتان، ماذا سيفعل الآن؟ فقرر الرجوع للحافلة مرة أخرىٰ، ويعود معهم إلىٰ البيت من جديد، فهم بالجري مرة أخرىٰ في اتجاه المدرسة؛ فالمسافة بعيدة للغاية ويجب عليه أن يصل إلىٰ هناك قبل أن تتحرك الحافلة، وما إن وصل لموقف الحافلات حتىٰ دخل إلىٰ هناك متسللا دون أن يراه أحد، وما إن وصل حتىٰ وجد نافذة الحافلة عالية للغاية ولن يتمكن من أن يدخلها أبدا.

فقد الأمل في الصعود وجلس خلف الحافلة يفكر في حل، فقد تبقىٰ نصف ساعة فقط والحافلات سوف تبدأ في الخروج الواحدة تلو الأخرىٰ، وأثناء جلوسه لاحظ أن هناك سلم في خلف كل حافلة، فوقف علىٰ الفور وصعد فوق الحافلة ودخل من النافذة وهو متدلٍ من سقف الحافلة، لقد نجح في خطته فجلس في هدوء يلتقط أنفاسه، فقد صنع مجهودًا كبيرًا ليصل لمبتغاه، وبدأ السائقون بالدخول إلىٰ الحافلات والتحرك، وعاد آسر ليختبئ من جديد، وقفت الحافلة أمام البوابة وبدأ التلاميذ في الصعود إلىٰ الحافلة، ووقفت المشرفة علىٰ البوابة تقوم بعد التلاميذ وتعلم علىٰ كل اسم صعد الحافلة وقالت للسائق انتظر قليلا تبقي آسر. فقال لها: أنا هنا في الخلف. فقالت له متىٰ صعدت؟ أنا لم أرك أثناء صعودك. فقال صعدت قبل قدومك قالت له حسنًا، وأخبرت

السائق أنه يمكنه التحرك الآن، والتقط آسر أنفاسه وقال الحمد لله أنه لم يُكشف أمره.

اقتربت منه فتاة هي الوحيدة في الحافلة من نفس صفه، وقالت له: أنا أعلم أنك لم تكن بالأساس موجودًا طوال اليوم الدراسي ولم تصعد معنا إلىٰ الحافلة، أين كنت؟ فقال لها: هذا ليس من شأنك، لا تتدخلي فيما لا يعنيك، فقالت لا.. يعنيني.. إذا لم تخبرني سأخبر المعلمة في الغد بكل ما حدث، فقال لها وهو متوتر: لا... لا تخبريها، سأخبرك؛ لقد هربت من المدرسة. قالت: لماذا تفعل هذا وتعرض نفسك للخطر. قال لها كنت أود أن أجرب شعور أن أتجول بمفردي. فقالت له: عدني أنك لن تفعل هذا الأمر مرة أخرىٰ وأنا لن أخبر أحدًا بما حدث. قال لها: أعدك.

التقط آسر أنفاسه، فكل شيء حتىٰ الآن يسير علىٰ ما يرام، ما إن عاد إلىٰ المنزل، قام بتقبيل أمه وطلبت منه أن يضع أشياءه في غرفته، ويقوم بتغيير ملابسه، ويغسل يديه وينزل علىٰ الفور لتناول طعام الغداء. قال لها: حاضر يا أمي. وجرىٰ نحو غرفته بلهفة ودخل الغرفة وأحكم إغلاق الباب وأفرغ محتوىٰ حقيبته وأخرج المخطوط من الحقيبة الأخرىٰ

لينظر إليه، وقام بتقبيله وخبأه في خزانة الملابس، وقام بتبديل ملابسه علىٰ الفور، ونزل مرة أخرىٰ بسرعة حتىٰ لا تلحظ أمه شيئًا، وما إن نزل قالت له أمه: ما هذا النشاط! لقد انتهيت بسرعة من تغيير ملابسك، كنت أظن أني سوف أضطر إلىٰ الصعود لغرفتك حتىٰ أساعدك مثل كل يوم.

فقال لها لا عليك يا أمي لقد كبرت الآن، فضحت الأم، وقالت له وهي تضحك: تناول طعامك أيها الكبير، قال لها: متىٰ سيعود والدي من سفره؟ قالت ربما قبل نهاية هذا الأسبوع، ثم قالت: ماذا أخذت اليوم في المدرسة، فتوتر من سؤالها المفاجئ، ثم قال: لا شيء جديد كان هناك مراجعه شاملة علىٰ الدروس السابقة، فقالت: كيف كان أداؤك في المراجعة؟ هل شعرت أنك قد استوعبت كل ما مر؟ قال: نعم يا أمي كل شيء علىٰ ما يرام، وقال لها: لقد شبعت، ونهض من مقعده وجرىٰ صعودا في اتجاه غرفته، ونادت عليه أمه ليكمل طعامه، ولكنه لا يجيب، وقد سمعت صوت باب غرفته وهو يغلق.

أخذ نفسا عميقا وهو واقف خلف باب غرفته، وقال أخيرًا جاء وقت فهم كل شيء بدقة، اتجه نحو نافذة غرفته وأغلقها بإحكام وأغلق الستائر، وكتب علىٰ ورقة كبيرة ممنوع الدخول وقام بتعليقها علىٰ باب غرفته من

الخارج، وأحكم إغلاق الباب، ووضع يديه علىٰ صدره ليمسك بحلقة السماوات السبع وقام بنزعها من رقبته، وأخرج المخطوط من الخزانة، ليبدأ في قراءتها، وأمسك قلمه ودفتره ليدون ملاحظاته.

كتب في أعلىٰ منتصف الورق (وصف عالم الحروف)

ثم كتب: علم الحروف ما هو إلا حلقة ملقاة في أرض فلاة، وهي الأرض الواسعة المقفرة التي لا ماء فيها، في أعلىٰ الحلقة تدور الشمس والقمر بتعاقب وترتيب منسق دون خلل، وهما مغموران بالماء داخل الحلقة، وإذا نظرت إلىٰ الحلقة بشكل رأسي ستجد أن هناك مجموعة من حروف الصاد متراصة فوق بعضها البعض بشكل تدريجي، حيث إن ثقب الحلقة في المنتصف ما هو إلا حرف لام قد اتصل بكل سماء، حيث إن كل سماء هي اتحاد لحرف الباء ونون مقلوبة منغلقة علىٰ الباء، فالباء هي الأرض والنون هي الغلاف، وعندما تنظر إلىٰ كل سماء من الخارج ستظن أنها كروية الشكل، وإنما هي مسطحة، وقد مد ظل أرضها علىٰ سطح البلورة فتظهر أنها كروية، لذلك وصفت بالدحية، لأنها تجمع بين التسطيح والتكوير، التسطيح في حقيقتها، والتكوير في صورتها.

أسفل كل سماء هناك شجرة مقلوبة جذورها ممتدة في وسط الباء، لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء، وتتدلىٰ منها ثمار النجوم، وتسقط هذه النجوم بين الحين والآخر لتنمو بعدها ثمرة جديدة علىٰ الفور، لذلك أماكنها لا تختلف أبدا، فهي علامات للحروف وبها يهتدون في ظلمات البر والبحر، وعندما تسقط النجمة تنطفئ لأن مصدر الزيت الذي يعمل كوقود ويساعدها في الإضاءة قد انفصل عنها، فتتحول إلىٰ نجم خنس خفي مستتر يجري في الماء لأسفل ليصنع دوامات كبيرة للغاية؛ فيكنس كل شيء معه وينقي الماء.

هناك ليلة في كل سماء تلقب بليلة القدر، هذه الليلة تتساقط فيها كل ثمار النجوم، وتنطفئ، وتكنس كل شيء معها إلىٰ أسفل الحلقة التي تكون في هذا الوقت تشبه القدر الذي قد امتلأ قاعه بالكثير من الثمار في أسفله، لذلك سميت بليلة القدر، ولا تثمر شجرة النجوم من جديد إلا بعد اكتمال الليلة.

حجم كل سماء يختلف عن الأخرىٰ؛ فأصغرهم السماء الدنيا، ويلها الثانية وصولا إلىٰ السماء السابعة، وهي أكبرهم علىٰ الإطلاق، وكذلك فىٰ ارتقاء كل سماء يتدرج الأمر بداية من الدنيا حتىٰ السابعة، وعدد

ساعات اليوم فىٰ كل سماء يزداد كلما صعدنا، فالسماء الدنيا أربع وعشرون ساعة، والثانية ثمان وأربعون، والسماء الثالثة ست وتسعون، والسماء الرابعة مئة واثنتان وتسعون ساعة، وصولا للسابعة عدد الساعات فيها ثلاث آلاف واثنتان وسبعون ساعة، وفي كل سماء في منتصف الباء أعلىٰ النقطة تماما توجد منطقة بها بيت يلقب ببيت الطواف، عدد مرات الطواف يختلف في كل سماء، فالسماء الأولىٰ سبع مرات، والثانية ستة مرات، والثالثة خمس مرات، والرابعة أربع مرات، والخامسة ثلاث مرات، والسادسة مرتان، والسابعة مرة واحدة، فعدد مرات الطواف تنازلية من السماء الأولىٰ للسابعة، وتصاعدية من السابعة للأولىٰ.

كل شيء في هذه الحلقة خلِق وجعل من الماء، وكانت القاعدة التي تحكم السماوات السبع ألا يوجد شيء يتحكم بضغط الماء إلا الماء مثله، فكان العنصر الأقوىٰ، والأكثر نفعا وتأثيرا هو الماء، علىٰ الرغم من أن حجم حلقة السماوات السبع وما بها من ماء لا يكاد يملأ ربع كوب من الماء، إلا أنه عالم كامل، وكان السبب الرئيس في تسمية كل سماء بهذا الاسم، أن السماوات هي البقع الخالية من الماء في داخل حلقة الماء، وفي كل سماء نوع من الأشجار يتميز بخواص وألوان يختلف من

سماء لأخرىٰ، وتتدرج ألوان الأشجار مثل تدرج قوس قزح تماما، فتبتدئ السماء الدنيا باللون البنفسجي وتنتهىٰ السماء السابعة باللون الأحمر، ولهذا التدرج سببه، وهو أن كل شجرة تنقل خواصها للحروف عندما يأكلونها، فيتحملون مقدار الأشعة الناتج من الشمس، والحروف في كل سماء متقدمون في جميع المهن، والطب عنهم يستغل الطبيعة من حولة، وأحيانا تصاب سماء بوباء، فيتعاملون معه بفرض حظر كامل.

السماوات السبع... حروف الصاد جميعها يترنم بكلمات منزلة من خالق الحروف ومنزل الكلم وواهب الحيوات المتباينة للمخلوقات، فهو كون يعلوه كون، وعالم أعظم بداخله عوالم، إنها النهائية واللانهائية، إنه الحصر وعدمه، إنها الحدود التي من المستحيل تجاوزها، إنها كلمات منزلات لا تغادر كبيرة ولا صغيرة.

نَدَا إِبْرَاهِيمْ طه